حسن الهضيبي

المرشد الثاني للإخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم , وبه نستعين , وأصلي وأسلم علي إمام المجاهدين, وقائد الغر الميامين الذي أنزل الله علي (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه , فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) <الاحزاب 23>

الإسلام مدرسة الرجال وجامعة المجاهدين الأبطال, لأنهم يتربون فيها بأحضان القرآن , ويتخرجون من مدرسة محمدعليه الصلاة والسلام, ولهذا نجد أن الإسلام في كل عصر ومصر يوجد الرجال المؤمنين والقادة المجاهدين, رغم كثرة الاعداء وشدة البلاء, ولكننا حينما ندرس تاريخنا نجد أنه يعرض علينا بشكل مشوه وخاصة تاريخ أعلام المجاهدين, لأن هذا التاريخ دونه أعداؤنا وكل منهم تسيطر عليه عقليته العنصرية أو الصليبية الحاقدة علي الإسلام والمسلمين ولهذا تجدهم يعرضون للبقع السوداء فيبرزها- علي قلتها- وكأنها تاريخنا كله, بينما يطمسون الصفحات البيضاء - علي – كثرتها في تاريخنا- فلا يتعرضون لها وإن فعلوا فبشيء من التلميح والايجاز بينما نجدهم يبرزون أعلام الغرب علي أنهم القدوة التي يقتدي ها والفذاذ الذين لن يجود الزمان بمثلهم, وهذه خطه الغزو الفكري الذي اعتمدها المستعمرون لبلادنا لتكون بديلا أطول عمرا وأعمق جذورا من الاستعمار العسكري.

ونحن حينما نؤرخ للامام حسن الهضيبي فإنما نفعل ذلك لندون جزءا من تاريخ الحركه الإسلامية في القرن العشرين والذي يوشك أن يندرس نظرا للتعتيم الاعلامي الذي تفرضه عليه أجهزة الاعلام في العالم الإسلامي. أو نتيجة سجن أو موت الذين عاصروا هذا التاريخ وخطوا كل حرف فيه بعرقهم ودمائهم ولا نقصد من هذا مدح الهضيبي أو الثناء عليه فنحن لا نزكي علي الله احدا, وماذا ينفع مدخ أهل الدنيا أو ثنائهم لرجل أصبح في عداد أهل الآخرة وأفضي إلي ما قدم, كما أن دعوة الله ودعاتها بعيدون كل البعد عن تعظيم الأشخاص ولكنهم يعظمون في الرجال أعمالهم الصالحة وسيرهم الحسنة ومآثرهم الخالدة وهي كثيرة في حياة المرحوم الهضيبي, ولذلك سيجد القاريء بأننا لا نؤرخ للتاريخ الشخصي للهضيبي إلا بالمقدار الذي يكون فيه مدخلا للتاريخ العقائدي والحركي , ولهذا حاولنا تحليل تاريخه ورصد م له وما عليه حتي يتسني للمسلمين أن يستفيدوا من حسنات من سبقهم ولتجنبوا أخطائهم وينسجوا علي منوالهم, ويبدؤوا من حيث انتهي أسلافهم.

لم يكن الهضيبي رحمه الله صاحب ثورة اسلامية مستقلة ولكن الأقدار ساقته لكي يحمل لواء الثورة التي اسسها وقادها الامام الشيهد حسن البنا رحمه الله , وقد أجمع الذين عاصروا الهضيبي أو كتبوا عنه أنه كان خير خلف لخير سلف, وإنه كان يتمتع بكثير من الصفات القيادية الحميدة التي تؤهله لأن يكون قائدا لاكبر حركة اسلامية في القرن العشرين في ظروف قاسية وهجمة صليبية استعمارية شرسة علي الإسلام والحركة الإسلامية. لقد كان رحمه الله داعية بالاضافة إلي كونه قائدا والدعاة غير المصلحين , فالمصلح يعمل علي إصلاح أمته بترقيع النظم التي تحكمها بنظم أصلح منها, أما الداعية فيعمل علي إحداث تغيير جذري شامل في النظام القائم بتغيير جميع النظم والشرائع والتصورات التي تهالف شريعة الله وعقيدة الإسلام وإحلال منهج الله تعالي وشرعه مكانها.

لقد تميز الهضيبي رحمه الله بأنه كان زاهدا في الدنيا ومغرياتها مدركا لحقيقتها وطبيعتها فهي ليست بدار مقام وإنما هي دار فانية وطريق إلي الآخرة الباقية, ولهذا عاش فيها لله ووهب

حياته لدعوة الله وكان هدفه رضوان الله فصغرت الدنيا في عينيه فلم يكن يبتغي فيها من الناس جزاءا ولا شكورا ولا زعامة ولا مالا, بل كان يفرغ من جيبه بجيوبهم ويصب من دلوه بدلائهم كما كان لا يخشي غير الله ربا ولا يضمر لأحد أذي ولا شرا.

لقد تميز رحمه الله لدعوة الله, ولهذا صرف كل طاقاته ومواهبه في سبيلها, ووقف وقته وجهده عليها, فقد كان يريد أن تكون دعوة الله عظيمة ولا يريد أن يكون عظيما, بل كان يري أن غيره أحق بقيادة هذه الدعوة منه, ولكن الاقدار ساقته لذلك رغما عنه ومنذ أن تسلم قيادة الدعوة الإسلامية كان كالشمعة تحترق لتضيء علي غيرها, كما كان يمد من جسده جسرا لكي يعبر عليه إخوانه إلي النصر, فقد قاد إخوانه في طريق الجهاد في سبيل الله راية لا إله إلا الله, وكانت تهفو نفسه للشهادة, ولكن رحمه تعالي اتخذ الكثير منهم شهداء وبقي رحمه الله صامدا علي الدرب حتي اختاره الله الي جواره فكان بحق قائد الشهداء.

اللهم لا تحرمنا أجره, ولا تفتنا بعده, وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة واجعل اعمالنا خالصة لوجهك , واجعل ما كتبناه عملا متقبلا وثقيلا في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

نبيه عبد ربه

الدوحه 16/ صفر 1406ه

30/10/1985 م

حياة حسن الهضيبي

1. المقدمة : ولد الاستاذ الهضيبي في مطلع القرن الهجري الرابع عشر وعاش حقبة من الزمن رأي فيها ضعف الخلافة ثم إلغائها, كما شهد الهجمة اليهودية الصليبية علي العالم الإسلامي وانبهار الناس بالحضاره الغربية, وقد سقط في هذه الحقبة العديد من المثفين الذين رضوا لأنفسهم بأن يحملوا أسماء إسلامية وقلوبا وعقولا غربية, ولما كان رحمه الله من أوائل المثقفين في مصر, فقد حفظه إيمانه بدينه فصمد كالصخرة الصماء تتحطم عليها كل الأمواج العاتية, لقد صمد أمام كل ترغيب وترهيب وكل زيف وزيغ في الحضارة الغربية وبقي صامدا علي دينه صابرا علي أخلاقه وعادته حتي هيأ الله له الانتظام في جماعه الإخوان المسلمين , فوجد فيها الإخوة الذين يعينونه علي السير في الطريق الصحيح, كما وجد فيها المجتمع الذي يعين المسلم علي أن يتخلق بأخلاق إسلامه ويعمل بإخلاص لدعوته.

وبعد ثلاثة وثمانين عاما قضاها الفقيد في جهاد مستمر وعمل متواصل , ومن غير جلبة ولا ضجيج, وبكل تواضع وتسامح وعبر كلمات خافته في زاوية من جريدة الأهرام, وقعت العيون علي نبأ وفاة المرشد العام للإخوان المسلمين المرحوم حسن الهضيبي, لقد أوصي رحمه الله أن لا ينعي, وأن يدفن فور موته في مقابر الصدقات, ولكن بعد جهد جهيد رضي بأن يدفن في مدافن العائلة دون أيه مراسم. وهكذا كان فقد نقل جثمانه الطاهر الي مركز راسه في عرب الصوالحة علي بعد ثلاثين كليو مترا من القاهره في عدد قليل من أعضاء الأسرة والمقربين حيث ووري رحمه الله التراب فإلي جنه الخلد ياقائد الشهداء في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

1. حسن الهضيبي في سطور : ولد حسن الهضيبي في عرب الصوالحة مركز شبين القناطر سمه 1309 هجريه الموافق لشهر ديسمبر 1891 ميلادية.

* قرأ القرآن الكريم في كتاب القرية, والتحق بعدها بالأزهر لما كان يلوح فيه من روح دينية وتقوي مبكرة. ثم تحول إلي الدراسة المدنية حيث حصل علي الشهادة الابتدائية عام 1907 م .
* التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية وحصل علي شهادة البكالوريا عام 1911م. التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها عام 1915م . قضي فترة التمرين بالمحاماة في القاهرة حيث تدرج محاميا. وعمل في حقل المحاماة في مركزي "شبين القناطر" لفترة قصيرة ورحل منها إلي سوهاج لأول مرة في حياته دون سابق علم بها ودون أن يعرفه فيها أحد وبقي فيها حتي عام 1924 حيث التحق بسلك القضاء.
* كان أول عمله بالقضاء في قنا وانتقل إلي نجع حمادي عام 1925 ثم إلي المنصوره عام 1930, وبقي في المنيا سنه واحدة ثم انتقل إلي أسيوط فالزقازيق فالجيزة حتي عام 1933 حيث استقر سكنه بعدها بالقاهرة.
* تدرج في مناصب القضاء . فكان مدير ادارة النيابات, فرئيس التفتيش القضائي فمستشار بمحكمة الاستئناف , فمستشار بمحكمة النقض.
* استقال من سلك القضاء بعد اختياره مرشدا عاما للاخوان المسلمين عام 1950, واعتقل للمرة الأولي مع إخوانه في 13 يناير 1953 وأفرج عنه في شهر مارس من العام نفسه حيث زاره كبار ضباط الثورة معتذرين.
* اعتقل للمرة الثانية عام 1954 م حيث حوكم وصدر عليه الحكم بالاعدام ثم خفف إلي المؤيد, ونقل بعد عام من السجن إلي الإقامة الجبرية لإصابته بالذبحة ولكبر سنه, ورفعت عنه الاقامة الجبرية عام 1961م. ثم اعيد اعتقاله يوم 23/8/1965 في الاسكندرية وحوكم بتهمة إحياء التنظيم وصدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات علي الرغم من أنه كان قد جاوز السبعين, أخرج خلاها لمدة خمسة عشر يوما إلي المستشفي ثم إلي داره, ثم أعيد لإتمام مدة حبسه.
* مددت مدة السجن بعد انتهاء المدة حتي تاريخ 15 اكتوبر 1971 حيث تم الافراج عنه وأدي فريضة الحج في عام 1972.
* انتقل الي رحمة ربه تعالي في الساعة السابعة صباح الخميس 14 شوال 1393 الموافق 11 نوفمبر "تشرين الثاني" 1973 رحمه الله وتغمده بواسع رحمته.
* أما إذا انتقلنا إلي الجزء الآخر من موضوعنا, من هو الهضيبي؟ وما هي الميزات التي أهلته ليحتل هذه المكانة بين اخوانه, فإليك الرجل:

حسن الهضيبي هو المسلم الذي يحفظ القرآن منذ الحداثة والذي نشأ في طاعة الله فلم يفتر يوما عن أداء الفرائض والواجبات الدينية . حسن الهضيبي هو الانسان الكريم الذي لم ير قط في موطن ريبة منذ كان تلميذا إلي أن صار مستشارا.

هو المثل المضروب بين زملائه وعارفيه علي الاستقامة ومتانة الخلق وقوة الشخصية وإباء المجاملة في الحث أو الخشية إلا من الله .

وقد طبع بيته بطابع الإسلام في آدابه وعاداته وأزيائه بصورة قل أن تراها في بيوت الذين يتصدرون دعوة الدين, بل الذين تقلدوا باسم الدين أرفع المناصب والالقاب.

حسن الهضيبي هو الذي استنفر كبار المستشارين للانقضاض علي القانون الجديد لمخالفته أصول الشريعة فلما انقطعت انفاسهم دون ملاحقته بالهجوم السافر مكتفين بتقديم مذكرة نقد رقيق, انطلق وحده إلي مقر لجنة القانون وسجل في مضيطتها الرسمية أنه يستنكر كل قانون لا يستمد من الشريعة الغراء, او تتضمن مواده حكما يتعارض من نص في الكتاب والسنة, وقد كان ذلك موضوع حديث الصحف المصرية حتي لقد نقلته جريدة الإخوان المسلمين بعنوان "الهضيبي ينصر الله" عن جريدة أخبار اليوم بذات المسلك المعروف من الدين والأخلاق.

أما عن دعمه للجماعة ودفاعه عنها فإن للرجل جهدا مشكورا ومساهمة طيبة في شراء دار المركز العام.

وقد أدي مثل هذه المؤازرة للدعوة في أثناء غضبتها لنجدة فلسطين, ولقد أوعز إلي عشيرته وهم أفاضل كثر بإنشاء شعبة لاخوان في قريتهم في عرب الصوالحة وفيما يجاورها من القري. ولقد وفق باسلوبه الخاص وتوجيهه الهاديء إلي إحياء الدعوة في منطقة شبين القناطر.

الإستاذ الهضيبي لم تفتر صلته بالإمام الشهيد ولم يقصر يوما في إمداده بالرأي والعون المثمر في كل موقف يقتضي ذلك قبل المحنة الأولي وبعدها علي السواء, بل كان يشارك في جلسات خلصاء الإخوان المسؤولين التي ترسم فيها سياسة الجماعة قبل استشهاد المرشد رحمه الله وبعد استشهاده.

ولقد بادر عقب قرار الحل بلقاء المرشد الشهيد حيث وضع نفسه وبيته واولاده ومنصبه وماله جميعا تحت تصرف الدعوة ورهن إشارة المرشد بصفه خاصة.

وكان وحده الصديق للدعوة في محيطه القضائي, حتي لأجزم بأنه العامل الأول والأوحد في تنظيف سمعة الجماعة وإلحاق مسؤولية الحوداث بأشخاص فاعليها, وتحرير دوائر القضاء من التأثير بحملة الاكاذيب والمفتريات التي عمدت الحكومة إلي تحويل القضاء بها عن جادة العدل وغغوائه بإصدار أحكام جائرة ظالمة فيما لفقت الحكومة من اتهامات.

وكان الهضيبي يتابع نشرات قيادة الإخوان المؤقتة بعد استشهاد الإمام ويزودها بالنصائح التي تجعلها بمنأي عن إثارة الحفيظة وسلكان القانون واكثر إصابة للهدف وقياما بالواجب وهو إحكام تنظيم الصفوف وتدعيم الثبات والثقة في الله بين الإخوان العاملين وكان له في العناية بأسر المعتقلين والسجناء جهود لا يحسن الكشف عنها بأكثر من هذه الإشارة.

1. صفاته : وإذا كان اكبر ما في حسن الهضيبي صموده وتحديه قوي البغي والطغيان رغم كبر سنه ومرضه, فإن ابرز ما اتسمت به شخصية حسن الهضيبي هو مقته الشديد للظهور وإيثار البعد عن الأضواء ما استطاع وقد كان يرفض أن تؤخذ له صورة. كما رفض أن يسجل مذكراته إيثارا لما يحتسبه عند الله من أجر, وإذا كان الهضيبي يؤثر الصمت والبعد عن الأضواء فإن ذلك مكرمة منه وفضلا , ولكن من حق حسن الهضيبي ومن قبله الإمام الشهيد حسن البنا, أن يكون كل منهما أسوة وقدورة, ومنارة علي طريق العالمين, فالشباب اليوم يلتمس العظمة في رجال من الغرب أو الشرق وهم في حقيقتهم أقزام إذا ما قيسوا بعظماء المسلمين القدماء منهم والمحدثين . فلقد سجل رجال الدعوة الإسلامية في عصرها الحديث بطولات نستطيع أن نقول مطمئنين بأنها ترقي إلي مستوي ما سجله الرعيل الاول من المسلمين الأولين, وواجب الحركة الإسلامية أن تكرم شهداءها وأبطالها, وليس لتخليدهم , وإنما ليكونوا منارات علي الطريق ويستضيء بها السالكون.

إن الجانب النفسي في فقيدنا الفذ رضي الله عنه وأرضاه, والذي منحه الصلابة في الحق يحتاج منا أن نقف عنده كثيرا. فما أحوج الدعاة والقادة أن يعرفوه ويفهموه ذلك أنه المعين المفقود في حياة هذه الأمة, فليست أمتنا فقيرة في العلم أو في الرجال أو في المال, لكنها فقيرة في النفوس الكبيرة التي تعرف الحق فتحبه ويجري في عروقها وأعصابها كما تجري دفقات الدم وعصارات الحياة, لقد كان حسن الهضيبي عليه مغفرة الله من ذلك النوع الفريد الذين وهبهم الله ذلك الرصيد الهائل في معرفة الحق والثبات عليه. فكان إيمانه بالله عز وجل- وثقته به ويقينه بوعده ورعايته لأوليائه وعباده- شيئا يسير في كيانه ويملك عليه جوانحه. فكنت تراه في موقف الرغب ذا بصر الرجال لا تخدعه الشارات ولا ما تضيفه المناصب من اجواء وهالات, إنه يقول الحق ولو كان مرا مذاقة وأنه يعرف حق الإسلام عليه حتي ولو عصي نفسه..... كما كنت تراه في موقف العواصف الهوجاء وهو سجين أعزل وإخواته وأبناؤه من حوله يجلدون ويعذبون يتقدمه جميعا يقلب ثابت وأعصاب هادئة ليقول كلمته في وجه السفاح: "إن هؤلاء خيره شباب مصر فاحفظوهم ذخيرة لها وخذوا مني ما تريدون" . وما أكثر ما مرت به أزمات صحية ونقل في بعضها إلي المستشفي, فما أن تزول الأزمة إلا ويطلب بنفسه أن يعود إلي حيث كان , ليظل مشاركا إخوانه وابناءه. وكان يقول "إن السجن حالة نفسية وليس هو الجدران والأسلاك".

لقد كان الإسلام يملأ جوانحه وأخلاقه , يحيا بها ولها ويعرف أن الفقر الأخلاقي هو الداء العضال في هذه الأمة, وعدم مراقبة الله وخشيته هي الداهية الدهياء..... فكان يقول لإخوانه دائما : "أقيموا دوله الإسلام في نفوسكم تقم علي أرضكم" ويقول " ميدانكم الأول أنفسكم, فإذا انتصرتم عليها كنتم علي سواها أقدر" . وكان يري الثبات هو الرصيد المنخور وهو برهان الخير وأمل النصر وسوف لا أنسي ما حييت ما قصه علينا , وقد فاضت عيناه تاثرا من قصة الأخ الفقير الذي وجد ساعة ثمينة لأحد الباشوات بينما كان ينظف دوره المياة في أحد المعتقلات, وذهب الأخ ليردها فاقترح أحد زملاء هذا الكبير أن يدفع له شيئا من المال جزاء أمانته ورده الساعه, فقال الأخ في نفس عالية: "إنني مازدت أن رددت أمانتك إليك, ولا اريد بذلك الأ وجه الله, ولا حاجة لي في مالك" ثم قال الاستاذ عليه رحمه الله " ولقد كنت أعلم أنه في أمس الحاجة ولكنها العفة والطهارة " ثم فاضت عيناه.

إن رسوخ هذه المعاني في نفسه جعله لا يحفل بالمظاهر مهما كان نوعها. ويرنو ببصره وبصيرته إلي المعايير السليمة فيزن بها الرجال والمواقف , لقد كان واضحا في نفسه أن هذه الدعوة تريد أن تحدد نفسية هذه الأمة, وأن تعيد هذه النفسية إلي حالتها القوية الصلبة, ليحدث الإصلاح المنشود والتغيير المأمول , مصداق لقول الله عز وجل : (إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا مابأنفسهم) . وهذه حينما راي محاولات الاحتواء والتذويب وتغيير المنهج وقف كالطود الشامخ يقول لمقابله : " ما علي أيدناك ولا نصرناك إنما علي الإسلام والإسلام وحده" .

وكان يدرك تمام الإدراك واقع اللأمة وظروفها ويقدر المسافة التي يجب أن تقطعها إلي غايتها. ولهذا كان عمليا في نظرته واسع الأفق في تقديره لأحوالها ... وكان يعرف أن الزمن جز من العلاج , وكان لا يحب تعجل الأمور ولا اعتساف الحلول . كان يتمني أن تفهم الناس ذلك ويأخذوه الخير ما يستطيعون إلي ذلك سبيلا, ويقللوا طرق الجفاء والقطيعة ما وسعتهم السبل في ذلك ولكنه مع هذه النظرة الفسيحة كان يرفض الخلط وتلبيس الحق بالباطل, فإن تقدير الواقع شيء واستنفاذ ما يمكن من خير منه شيء لآخر.

كان يكره المهاترات وينأي بنفسه عن الصغائر, وكان يدفع بالتي هي أحسن ولا يحمل في نفسه الكبيرة إلا الخير للجميع , وما جاءه أحد يقدم نفسه لخدمة الإسلام إلا قال له لسان حالة ومقالة : "إن هذا الإسلام مالك للمسلمين جميعا وليس المهم تعليق اللافتة, ولكن المهم فهمه والعمل به, وماأساء إنسان وندم وجاءه ثانية إلا ورحب به, وفتح قلبه له, فقد كان لا يجب أن يشغل نفسه بالقضايا الصغيرة عن القضايا الكبيرة , كان يؤمن تمام الإيمان أن هذه الدعوة واحة كبيره للمسلمين جميعا ينفذ قولة الإمام الشهيد عليهما رحمه الله "نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا عليه ".

كان تواضعه وسماحته وبساطته مضرب الأمثال. فرغم مستواه الاجتماعي وتقلده المناصب العليا في القضاء رأي الناس منه ما ألف قلوبهم وحببه في دينهم, فقد رحل إلي الصعيد وزار قراه وعساكره ثم الوجه البحري ونزل في دور الإخوان وشعبهم ومضي علي سنن الفطرة يرفض التكلف والمظاهر ويهتم بالأعمال والحقائق . ولما جاء حاجا العام الماضي من المحن المتتابعة التي رآها والسنون العجاف التي قضاها والشيخوخة التي وصل اليها, أشفق إخوانه وأحباؤه عليه وتمنوا عليه أن يقبل النزول في فندق من الفنادق الكبيرة لتكون الراحة أكمل والخدمة أحسن , فرفض وأبي أن ينزل في المخيم العادي وينام في الخيمة العادية , وقد كان معه عذره لو قبل , ولكنها النفس الكبيرة والقيادة الأمينة , تقدم من نفسها وتنفق مما وهبها ربها:

واذا كانت النفوس كبار

تعبت في مرادها الأجسام

إن الذي خلق الحقيقة علقما

لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

ولقد علم اللأجيال, عزيمة البطال , وثبات الرجال , وكانت حياته صورة دعوته إيمانا وصبرا, ورعاية للحق وجهرا به , وثباتا عليه , ودون مهادنة أو مساومة , مع التعذيب الشديد, والأذي العاتي الذي ناله بسبب صلابته في الحق, وثباته عليه في وجه الظلم والظالمين , ومع شيخوخته في السن وأمراضه التي لحقته – من جراء التعذيب والإيذاء – وصاحبته طوال المحنة القاسية , فلله تلك النفس المؤمنة, الصابرة المحتسبة , المسلمة المجاهدة, المؤثرة ما عند الله , الطالبة لثواب الله ورضوانه , بالصبر علي ما تلقاه من تعذيب الطغاة والظالمين, التي لقيت ألوان العذاب في سبيل الله, وما انحرفت ولا ضعفت ولا استكانت لغير الله, حتي لقيت وجه ربها راضية مرضية إن شاء الله.

في صباه الباكر, في شبابه الغض, في رجولته السوية, في كهولته الواعية وفي الشيخوخة الوقورة , كان حسن الهضيبي الصادق الذي لا يكذب, العف الذي لا يترخص, المستقيم الذي لا يداهن, الأبي الذي لا يخنع, الشجاع الذي لا يدبر, الجلد الذي لا يتذمر , بل كان – كما قال العربي من قبل – لا يمل حتي يمل النجم, ولا يهاب حتي السيل, ولا يظما حتي يظمأ البعير, وكان فوق ذلك جذوة من الأيمان والجهاد لا تسكن إلي دعة ولا تهادن علي مبدا , عنوانا علي الخلق والترفع لا يستنزله عنهما إسفاف حاسد أو سلاطة منابذ, جبلا في الثبات علي ما يؤمن به , أرعدت القواصم أم أبرقت المغانم, منهلا للإيثار يمنع الري نفسه وأهله حتي يرتوي منه ذوو الحاجة والأباعد, داعية لا تخطيء في أحد ممن يدخل في ولايته سلطان الغالب, وتلك خصيصة لا يشتد فيها بخير ألا فيها أزر المصلح المجاهد, ولا يبلغها من قادة الدعوات إلا الصفوة القلائل , وحسبك أن يمتدح بها القرآن الكريم أكثير من نبي في مثل قوله تعالي (وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا).

ويقودني الإلمام بهذه الخصيصة من شمائل المرشد الراحل إلي التحدث عنه طيب الله ثراه في اثنتين من أبرز النواحي التي تميزت بها شخصيته ومعالم سيرته ومنهاجه. أولاهما : الوحدة بين مبادئه وسلوكه متمثلة في نماذج من مواقفه وأخلاقه . والاخري : سلطان دعوته علي أهل بيته ومن تسملهم ولايته.

وقبل الاسترسال في عرض هاتين الناحيتين, تقتضي الأمانه والإنصاف أن اسارع إلي القوم بأن روائع الإيمان والألمعية التي يشرف بها تاريخ الهضيبي كانت لازمة له بارزة في نفسه وعمله , قبل التحاقة بدعوة الإخوان المسلمين, وبعد أن تولي قيادتها خلفا لسلفه العظيم حسن البنا عليهما رضوان الله. لا يخطيء هذه الروائع فيه عابر طريق, ولا معاشر لصيق.

عرف عن حسن الهضيبي ولوعه بكتاب الله منذ الحداثة, يكثر القراءة فيه والغوص علي معانيه ويزين عمله وسلوكه بأوامره ونواهيه, ويبادر إلي الزام نفسه بما قد تغفل عنه من أحكامه وتوجيهاته , وكانت هذه الصحبة مع القرآن مصدر شمائلة والأساس الذي لم تنفك عنه شخصيته طوال عهده بالدنيا , فلئن استظهر الكثير الكثير من أجزاء القرآن في صدوره – كما تدل علي ذلك كثرة استشهاده بآياته – لقد شارف الغاية من استيعابه حقائق في خلقه, وصراطا لحياته, وكان يبلغ من غيرته علي القرآن وإعظامه لمسؤولية حامله وتاليه , أن يشتد نكيره علي مثل إذاعات لندن وموسكو وإسرائيل وباريس حتي تستهل مناهجها بتلاوة القرآن – وهي لا تؤمن به – فتنزل بقدره إلي رتبة الأغنية أو الأنشودة التي تتملق بها مشاعر السامعين , وفي ذلك كل الاستخفاف بالمسلمين, مع ما للقرآن من حرمة تفترض في مذيعه المنصت إليه , أن يكون جنديا صادعا بأمره, مقلعا عن كل ما ينهي عنه.

4 – مواقف مشرفة (\*).

1. الورع عما يستبيحه الكافة : انفرد الأستاذ الهضيبي أو كاد برتبة عالية في الورع عما تعارف الناس علي إباحته من توافه الأشياء التي تضعها الدوائر الحكومية والمؤسسات التجارية في خدمة موظفيها كالاوراق والأقلام وغيرها من المهملات إذ كان يحرم علي نفسه وذويه استعمال شيء منها في شأن خاص . وكان يعود من المحكمة - وهو قاض أو محقق – وفي حقيبته أكداس من ورق التسويد الرخيصة "الخرطوس" ليخطط عليها مشروعات القرارات والأحكام القضائية , فلا يسمح لنفسه باستعمال ورقة منها ول كانت دون الإصبع في أمر يخصه أو يخص واحد من أهله, فإذا رآها واحد من اولاده في غرفته وطلب ورقة مها لبعض حاجته أنكر عليه أبوه وأعطاه قرشا يشتري به ما يحتاج إليه من الورق , ثم لقنه أمام إخوته الدرس الذي لم ينسوه بأن أوراق الحكومة مالك لها لا يحل لأحد أن يستخدمها في شأن خاص به.

وقد كان هذه اللفته اثرها الرائع في موقف لطفلته "خالدة" سيرد إجماله في الحديث عنها إن شاء الله .

2- مع خلطائه المسيحيين : وكانت باكورة ولايته القضاء في مدينة جرجا من صعيد مصر, حيث تعلو في الطبقة المثقفة نسبة المسيحين, الذين تهيء لهم مراكزهم وثقافتهم الاختلاط بقاضي المدينة, ونظرائه من كبار الموظفين, فلفت نظر هؤلاء الإخوة عزورف القاضي الجديد عن مشاركة أنداده غشيان مواطن اللهو المباح, فضلا عن الحرام وراعهم منه أنه – خلافا لامثاله – لا يحلف ولا يعمد إلي تثبيت قوله ورأيه بيمين, أستنادا إلي أن من لا يصدق بلسانه لا يصدق بيمينه, بالاضافة إلي إيثاره الجد في غير تزمت والبشاشة في غير تبذيل , فإذا به يلتفون حوله , ويحيطونه بفيض من مشاعر الحب والتقدير, ويعلنون أنهم يحسدون عليه إخوانهم المسلمين ويتمنون لو كان في طائفتهم مثله ليقيموا له النصب والتماثيل.

3 الجبين المرفوع أمام الملك فاروق: حدثني "باشا" مصري من اعلام القضاء – كان يليه مباشره في ترتيب القضاء والمستشارين – ان الهضيبي كان أول من كسر تقاليد الانحناء بين يدي الملك, عند حلف اليمين القانونية التي يؤديها القضاة أمانة قبل تولي مناصب المستشارين, إذ كانت دفعته حوالي عشرة. سبقه منهم خمسة لم يترددوا في الانحاء عند حلف اليمين رغم تهامسهم بالتذمر من هذا التقليد المهين, حتي إذا جاء دور الهضيبي, الواهن البنية الصامت اللسان, فاجأ الجميع بأن مد يده لمصافحة الملك وأقسم اليمين منتصب القامة مرفوع الجبين, بصورة انعشت الإباء فيمن بعده – وأولهم محدثي الباشا " س 0 ر " فأدي يمينه قائما عالي الرأس, وهو يقول لنفسه "إذا شنقوا الهضيبي فليشنقوني معه " وتبعهما سائر المستشارين فصافحوا الملك وأقسموا اليمين دون تخاضع أو انحناء.

4 - **لازلفي لجبار, ولا شماتة بمنهار:**

أ – امام الجبارين : ومنذ برز اسم الهضيبي في القمة بين زعماء مصر ودعاه الملك إلي الاجتماع به دون طلب – خلافا لكل السوابق المألوفة يومذاك – راحت التعليقات والتكهنات تتكاثر وتتضارب حول "الثمن" الذي سيتكلفه الهضيبي وجماعته – فيما توهم الناس – لهذه البادرة التكريمية التي خص بهامليك البلاد المرشد العام للإخوان المسلمين.

أما الهضيبي المؤمن الصديق . الموصول أبدا بملك الملوك , فلم يزد علي أن نقل سلام الملك الذي حمله إياه إلي إخوانه في الجماعة, ثم استانف طريقه في الدعوة محررا بالإباء من كل ما يمت بسبب إلي هذه المقابلة , بل معتصما بحكمته وإيمانه من أن تلحق بمثالية الجماعة منها أية شبهة. وإليك مما وقفت عليه بنفسي , هذه الامثلة الثلاثة:

1. اتصل به كبيران من أعوان الملك يسألانه موعدا لزيارته, فما أن حدد لهم الوعد – وكان ثلاثة ايام – حتي اخبراه بأنهما سيحضران معهما صورة الملك لتعليقها في دار الإحوان.

وقبل الموعد ببعض ساعه هتف إلي من داره يكلفني بصرف الرجلين إذا سألاني عنه , ولما ذكرته بأن رد مثلهما بهذه البساطة سيورطنا في أزمة صارخة – وكنت لا أعلم سبب الزيارة – أعلمني بألا مفر من ردهما بأيه وسيلة لأنهما سيطلبان منه تعليق صورة الملك بالمركز العام , وهذا لا يفعله ولو قطعت يمينه. وألهمني الله ان أقول له سأرسلهما إليك بالمنزل ولا حاجة لهذا الجفاء , وما عليك إلا أن تعتذر لهما بأن الإخوان قوم متزمتون اي يحرمون التصوير, وسأبادر الآن إلي رفع صور الإمام الشهيد من غرفه المركز العام, حتي يستقيم الاعتذار وما هو ألا أن سمعها حتي قال: يرحم الله ابك افعل وأنا لهما في الأنتظار.

1. بعد أن اعتمد مكتب الأرشاد الصياغة التي اعتدت لها مذكرتنا التقليدية لوزارة الدكتور علي ماهو بعد حريق القاهرة سنه 1952 وكلفني بطبعها وتوقيعها من المرشد العام دعاني إليه وأقبل علي آخر سطر منها يتضمن أماني التوفيق "في ظل جلالة الملك المعظم" فضرب بقلمه علي عبارة " في ظل جلالة الملك" غير ملفت لتنبيهي بأن مكتب الإرشاد قد اعتمدها , ولا إلي كون هذه عبارة تقليدية , و إلي أن خلو الكتاب منها يثير نقمة في القصر الملكي, مجيبا علي كل ذلك بقوله : احذفها علي مسؤوليتي, وحسبنا والملك والوزارة ان تكون في ظل الله وحده"
2. وفي ربيع العام نفسه , إذ كان طفلي هشام يعالج بمستشفي الدكتور عبد الوهاب مورو "باشا" قدم المرشد العام مشكورا لزيارته, ولما هم بالانصراف بعد جلسة طويلة غمر فيها هذا الطفل ببره وعطفه , أشرت عليه بزيارة رئيس الديوان الملكي, وكان يعالج بنفس المستشفي, فلما فؤجئت بإعراضه عن الفكرة وشرعت أعدد له محاسنها ومحاذير تركها , ولا سيما أن رؤي في نفس المستشفي, لأنه لا تكاد لحظة دون أن يعض صالون رئيس الديوان بمجموعات من الأمراء وروساء الوزارات والشيوخ والنواب وكبار العلماء والوزراء ورجال الصحافة والأعمال, ورحت أقنعه بأن زيارة الرجل مجاملة للملك, وهي عيادة مريض علي كل حال , إذا به يصافحني مودعا وهو يقول : " لقد قصدت الله تعالي بعيادة ولدنا هشام , ولم أقصد الملك بزياره رئيس الديوان".
3. **لا شماته بالمديرين**: ويتم هذه العظمة في خلق الرجل أنه كان مثال النيل والترفع في مواقفه ازاء من أدبر عنهم السلطان, وانقلبت احوالهم من عز إلي هوان , ولو كان فيهم من اسلف إليه أو إلي جماعته البغي والعدوان والأمثلة التالية اصدق شاهد وبرهان.
4. **محنة الملك المخلوع**: علي الرغم من مواقف الإباء التي التزمها الهضيبي تجاه الملك فاروق في أوج سطوته وسلطانه, وحين كانت أعلي الهامات تتفاخر بالانحناء بين يديه, وأمضي الأقلام تتباري في نسبة القداسة والعبقريات إليه, رأينا هؤلاء جميعا لا يلبثون عندما تحل نكبة الخلع والإبعاد به أن ينقلبوا في مثل لمح البصر إلي هجائين حداد الألسنة, شتامين مقذعي البذاءة و يصبون كل ذلك في غير حياء من ماضيهم القريب ماضي اليوم والساعة علي ذلك المخلوع الذي اصبح لا يملك حولا ولا طولا ولا يستطيع لأحد نفعا ولا ضرا.

أما الهضيبي الذي رأينا ناعته في وجه الملك ومكالب حاشيته فقد ارتفعت به أصالة خلقه عن أن يتاثر بهذا التيار, وملكه سلطان التعفف والترفع فلم ينزلق ولم يسمح لإخوانه أو صحفه بالانزلاق لحظة إلي مهاجمة رجل جري القضاء علي سلطانه بالزوال, وليس وراء ملاحقته بالسباب إلا ما تأباه المروءة , وما نهي عنه الهدي النبوي, من اتباع المدبر والإجهاز علي الجريح.

1. **محنة الزعماء المعتقلين**: ومن معين هذا الخلق الأصيل حرص الاستاذ الهضيبي علي مواساة الزعماء الذين اعتقلتهم الثورة بعد قيامها بأسابيع واصبح الاتصال بهم مجلبة ضرر ونقمة حملت أقرب الناس إليهم علي التنصل من كل صلة بهم. بينما حرص الهضيبي علي تفقدهم بمجرد أن سمح لهم باستقبال الزوار – وكنت في معيته – السادة أحمد نجيب الهلالي "باشا" وأحمد عبد الغفار "باشا" وأحمد مرتضي المراغي "باشا" وآخرين لا أذكرهم الآن ممن كانت قيادة الثورة الحاكمة تعتبر زيارتهم ومواساتهم من كبائر السيئات وما كان أحب الي المرشد في تلك الأيام أن يتفادي غضب رجال الثورة , ولكنه الوفاء الأصيل يأبي أن يفارق صاحبه ولوكلفه ما لا يطاق.
2. **سلطان الخلق مه الأولياء والأعداء**: لا يسعني أن أنفض يدي من هذه العجالة الخاطفة عن مواقف الراحل الكريم وأخلاقة دون أن أورد نموذجا من منزلة الخلق عنده حين يبدو التمسك به وكأنه إضاعة للمصلحة أو خدمة لأعداء الدعوة .

قامت ثورة مصر وبينها وبين الدعوة وقيادتها أسباب ليس هذا مجال الافاضة فيها , واخلص الهضيبي في نصحه للثورة ومنحها انفع التاييد فيما يتفق ومبادئه الإسلامية, فلما اشتعلت أعاصير الخلاف بينها وبينم جماعة الإخوان, وراجت الثورة تصب علي الجماعة أبشع ضروب البطش والاضطهاد, سارع أحد خلصاء الهضيبي إلي مقر قيادة الثورة – وكان لايزال موضع ثقتها الكاملة – للإجهاز علي رجالها, انتصار للدعوة وكفا للأذي عن الجماعة, فاكفهر وجه المرشد غضبا وقال له "لأن يهلك الإخوان عن آخرهم – وللدعوة رب يحميها – خير من أن نبلغ قمة النصر عن طريق الغدر والخيانة , إننا مسلمون قبل كل شيء, ولو ملكنا الدنيا بإهدار الخلق الإسلامي فنحن الخاسرون".

1. **الثبات عند الابتلاء** : " لا تتنموا لقاء العدو , فإذا لقيتموه فاثبتوا" حديث شريف .

مارس الاستاذ الهضيبي قيادة الدعوة, علي هدي النبوة , مؤثرا للعافية في غير وهن راغبا عما يسوقه الصطدام بالحكومات من شهرة وذكر, ومتقبلا البلاء اذا فرض عليه بعد ذلك بأمثل ما يتلقاه المؤمن من ثبات وجلد, رافضا كل ما يؤثر إخوانه – رعاية – لسنه ومقامه – من وسائل التخفيف والإيثار ليظفر من مثوبة البلاء, حين يقنع, بحصة السد وليكون لتلامذته وأتباعه نعم الأسوة والمثل, يفعل كل ذلك رحمه الله دون إثارة ضجة أو لفت نظر.

كان أشد ما أفزعني من حملة الاعتقالات التي واجهناها في 13/1/1954 ان رأيت بين المعتقلين ثلاثة رجال : حسن الهضيبي , ومنير دلة عليهما رضوان الله وإسامة حسن الهضيبي سلمه الله , لخشيتي أن يكونوا ثغرة في جدار المقاومة التي عرف بها رجال الدعوة في الأزمات , لأن أولهم شيخ جاوز الستين مثقل بطوائف من العلل والاسقام فضلا عن أنه قضي حياته , حتي ذلك اليوم, في دعة وخفض بين عمله وبيته يأمر فيطاع ويهيب فيجاب ولأن الثاني ربيب نعمة وابن "باشا" واسع اليسار, فضلا عن كونه مستشار في مجلس الدولة , يتسابق الناس في طلب مودته, والتقرب إليه , فتملكني الوهم أن تكون مفاجأتهم بحياة الاعتقال علي هذه الصوره التعسفية الجافية زلزالا ينتهي بهما إلي الحطمة والانهيار, خلافا لامثالنا من حلفاء التخشن, الذيين سبق لهم التدرج في منازل الاعتقال منذ كانت في مستوي الفنادق لاراقية , حتي أصبحت, كما يواجهها هؤلاء المترفون لاول مرة , مخابيء نكال وهلكة . أما ثالثهما اسامة الهضيبي سلمه الله, فقد كان – من دون ذرية الهضيبي كلها – منصرفا علي عمله ومقاولاته الهندسية معتزلا كل ما يتعلق بالدعوة والجماعة , لا يعرف عنا ولا نعرف عنه شيئا لولا أن يرانا ونراه في دار أبيه علي سبيل المصادفة.

غير أن تجربة الشدائد – وهي ميزان الرجال – قد كشفت من جوهر هؤلا الثلاثة ما رايتني بالقياس إليه صغيرا ضيئلا , أحتاج منهم إلي التشجيع والمواساة.

أما أسامة ومنير, فسيرد الحديث عنهما في غير هذا المكان إن شاء الله . وأما الهرم العجوز بالأمراض حسن الهضيبي, فقد أثبتت هذه المحنة أنه إمام البلاء, قدوة في الصبر علي الضراء, وإليك طائفة من نماذج إبائه وجلده في أشد مواطن البأساء.

1. مداومة الروماتزم المزمن بزمهرير البرد في زنزانة الاعتقال: آلمتني وطأة الزمهرير الذي واجهته ساعة أغلق علي باب الزنزانة , رغم ما كنت أشعر به من فضل قوة وشباب, وما كنت متجهزا به من فرش واغطية وثياب, وما طال الفي له من خشونة السجون والمعتقلات, فرأيت مشاعري كلها مشدودة إلي الاستاذ المرشد يستبد بها الهلع علي حياته الغالية, لما أعلم من معاناته مرض الروماتزو الحاد المزمن الذي يحوج أجلد الفتيان إلي مضاعفة الدفء في وقت الشتاء , فعمدت إلي فروة من جهازي ذات وبر كثيف طويل ودفعت بها مع حارس الزنزانة ليسلمها – لقاء أجر أغراه – إلي الاستاذ الهضيبي في زنزانته التي عرفت رقمها بعد مجهود, وقلت في نفسي إنه جهد المقل ولكنها ستقيه الكثير من وطأة الزمهرير , غير أن الحارس لم يلبث أن عاد إلي والفروة بيده ليبلغني أن نزيل تلك الزنزانة أمره بإعادتها إلي , وخشيت أن يكون الحارس قد أخطا المقصود فرددته بكلمة رمزية والزمته تسليم الفروة, والتأكيد ممن أرسلتها إليه بجواب تلك الكلمة , ولكنه سرعان ما عاد إلي بالجواب الرمزي, ومعه الرفض الحاسم بدعوي أنه لا يشعر بأي برد يحوجه إلي الفراء.

وبعد يومين هيأت لي المصادفة الاجتماع بأستاذي الأبي أمام دورة المياه فما أمهلني أن أتكلم حتي قال : " ادفيء نفسك بفروتك أو أدفعها إلي من يحتاج إليها من إخوانك " فقلت له فدتك نفسي, من أحوج إليها منك وأنت مريض بالروماتزم والدوسنتاريا و..... فإذا به يقاطعني في عزة وبشاشة: "لقد شفيت والله , ياعبد الحكيم, ببرد هذه الزنزانة من كل ما اثقلني من الأمراض في غابر السنوات".

وما كدت اسمع الجواب حتي غلبني العبرات , وتضاءلت في نظر نفسي كاني حفنة تراب وأنا أردد في خاطري " إن لله رجالا.... ".

1. رفض المدفأة الكهربائية من مدير السجن: وكان مدير السجن الحربي – الذي اعتقلنا به في صحراء الهاكسيتب – يتودد للأستاذ الهضيبي ويتظاهر بالأسف لاعتقاله والمسارعة فيما يسره ومن ذلك أنه أبلغه يوما عن مسعي يقوم به لتزويد غرفته بأدوات التدفئة والراحة تقديرا لمقامة وسنه, فأجابه المرشد رحمه الله " إني بأتم الراحة والدفء , وإذا كان باستطاعتك أن تقدم هذه المزايا لجميع الاخوان المعتقلين فيسرني أن أكون آخرهم, وإلا فوفر علي نفسك المساعي وأنت مشكور " غير أن مدير السجن, الذي عرف إباء الرجل ومثالية إيثار, اغتنم إخلائنا الغرف في لحظات "الفسحة" اليومية فحمل مدفأة مكتبه الخاص وتركها مشتعله في زنزانة الهضيبي, الذي ما كاد يدخل الزنزانه ويفاجا بنعمة الدفء, ثم يلمح المدفأة في زاوية من زنزانته, حتي أقبل علي باب الزنزانة من الداخل يوسعه طرقا بكلتا يديه, إلي أن أسمع الحارس فأسرع بفتح باب الزنزانة , ليفاجا بنزيلها قد حمل المدفأة بيده وقذف بها إلي الخارج ثم أغلق الباب علي نفسه دون ضوضاء.

وجاء مدير السجن يعاتبه , بحجة أنه آثره بها علي نفسه, وانه في هذا ردا لكرامته , والمرشد لا يزيد علي أن يدعو له , ويكرر أنه لن يقبل ميزة ولا هدية ولا كرامة خاصة , إلا بعد أن تعم كل المعتقلين من اخوانه.

1. **اظهار القوة أمام خصوم الدعوة**: وأدرك زبانية الحكام أن الشيخ الذي حسبوه فانيا سريع الاستسلام, ماهو إلا معين اباء وجلد, تسري جواره شمما ومنعه في نفوس الإخوان فيثبت الواهن, ويضاعف من عزيمة الثابت.

وتفتت مكايد الطغيان عن حيلة جديدة , نقلوا بها المرشد العام إلي زنزانة ملحق بمكاتب الأدارة, تفصله ميل عن مجمع زنزانات الإخوان , بحيث لا يرونه إلا في ساعة الفسحة من هذا البعد , لا يكلمهم ولا يكلمونه.

ولفت أنظارنا أن مرشدنا المتداعي البنية يقضي ساعة فسحته في الحديقة المواجهة لمكتب المدير ناشطا في القيام بتمرينات رياضية وهو بملابس ناصعة اللوان لعله كان يتوقر عنها وهو في شرخ شبابه.

ولماكاشفته – في أول لقاء هيء لي معه – بغرابة هذه الحركات الرياضية , وهذه الملابس الزاهية علي مقامه وسنه ضرب في صدري بيده ضربة حنان وتنبيه, وهو يقول : "دعهم لا يرون منا الا البشاشة وارتفاع المعنوية. حتي يتحققوا أن سهامهم طاشت, ولم يبلغوا منا ما يريدون" . ألم يبلغلك رسول الله صلي الله عليه وسلم "رحم الله أمراء أرهم من نفسه القوة"

1. **النهي عن البكاء** : من خشيه الله علي مسمع الظالمين واعتاد الإخوان أن يجدوا في السجون أسعد الفرص للخلوة بالله سبحانه, حيث تشلغهم أعباء العمل للدعوة اوقات الحرية هم التفرغ لما يحبون من مناجاته, وكان الاخ "ع" بين المعتقين من أرقهم قلبا واغزرهم دمعا وأعلاهم نشيجا في مناجاة الله إذا حلك الظلام وسكنت الحركة بين المعتقلين والحراس.

واستطاع الأستاذ الهضيبي أن يتبين من هذا النسشج شخصية صاحبه, فما وقعت عليه عينه في ساحة الفسحة العامة, حتي أقبل يقول له "أنا اعلم أنك رقيق القلب تبكي من خشية الله وتلك رتبة نغبطك عليها جميعا, ولكن جهلة الحراس أذا سمعوا بكاءك وأنت مرموق المكان في الدعوة . اسرعوا إلي سادتهم الطغاة, فأفهموهم أن قادة الإخوان قد اصابهم الهلع من الاعتقال, حتي إنهم ليبكون بكاء الاطفال".

وراع المرشد والحاضرون من الأخوة أن يسمعوا جواب أخيهم : "يافضيلة المرشد أنا أهون شأنا من أن يكون نشيجي بكاء من خشية الله, ولكني استعرض ذنوبي – إذا جن الليل – فيخيل إلي من كثرتها أن الله تعالي قد أخذ الجماعة كلها بأن يكون فيها مذنب مثلي " فيبارك المرشد هذا الشعور ويكرر التشديد علي صاحبه أن يكبت أناته بحيث لا يسمعها إلا الله.

1. **رفض الافراج قبل التحقيق من بطلان الاتهامات**: (ولما جاءه الرسول قال ارجع إلي ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهم إن ربي بكيدهن عليم ) "سورة يوسف "

اتسعت موجة النقمة علي الحكم العسكري بعد اعتقال الإخوان في 13/1/1954, ودبت الشقاق إلي صفوف رجاله البارزين حتي اضطروا إلي اتخاذ قرار بالإفراج عن الإخوان المعتقلين في حوالي 20/3/1954 , وخيل للقوم أنهم يتسطيعون تقاضي الإخوان ثمنا جزيلا عن هذا الإفراج , فأوفدوا إلينا اثنين من رجالهم يبشراننا بالافراج, يجسان النبض لمفاوضتنا علي ما يمكن أن نقدمه لتايد الثورة عندما تعود الينا الحرية والرجولان هما الاستاذ فؤاد جلال الذي سبق إلي جوار ربه والسيد محمد أحمد وهو لا يزال علي قيد الحياة يشغل مركزا رفيعا في دولة اتحاد الجمهوريات.

وبينما كانت بشائر الإفراج تسري موجة من السرور في أوساط عامة الإخوان وكان مبعوثا السلطة يتوقعان لمفاوضاتهما أو لمساوماته باهر النجاح, سارع الاستاذ الهضيبي إلي إعلت أنه لن يقبل الإفراج – فضلا عن أن يتعهد بأي شيء في مقابله – إلا بعد أن تمحص الاتهامات الخرافية, التي برر بها اعتقال الإخوان , أو بعد أن تعلن قيادة الثورة بطلان التهم والاعتذار عن الاعتقال, وهذا ما ذكرني بموقف نبي الله يوسف عليه السلام حين رد بشير الحرية التي آثره بها الملك حتي تستعلن للملأ براءته ويفتضح كيد امرأة العزيز.

وثبت المرشد والإخوان علي هذا الموقف الأشم, بعد أن انفض أول اجتماع علي غير اتفاق – حتي عاد المبعوثان بعد يومين ليفتحا باب السجن ويعتذر للمعتقلين , وتتبع ذلك زيارة قائد الثورة للمرشد في بيته, وزيارة وزير الإرشاد لكاتب هذه السطور في داره في مسعي لأزاله ما علق بالنفوس من مظالم الاعتقال .

1. **إيثار الكفاح علي السلامة في اقسي أوقات المحنة**: شاءت الاقدار أن يكون الأستاذ الهضيبي في سوريا ولبنان في صيف عام 1954 بعد زيارة للملكة العربية السعودية قام بها في أول ذلك الصيف إجابة لدعوة من الملك السابق سعود بن عبد العزيز رحمه الله.

وفيما كان الهضيبي موضع الحفاوة والتكريم من جميع الأوساط الدينية والاجتماعية والسياسية في البلدين الكريمين, متنقلا بين المدن والقري في أحفال عامة, مستجما في بعض المصايف حين تتهيا له وميضات من الفراغ والراحة, إذا بحملة استفزازية مسعورة يطلقها حاكم مصر يومذاك علي الإخوان المسلمين في مصر في مدينة من محافظه الشرقية, وإذا الأنباء تتواتر علي اتباع ذلك موجة اضطهاد عارمة تنصب علي الجماعة فتغلق مراكزها التي شارفت الألفين, وتعتقل قادتها وتشرد الموظفين من أعضائها وتصادر اموالها وتلفق جديدا وقديما من الاتهمات لأهداف الجماعة ومناهجها.

وكان العزاء الوحيد لأصدقاء الدعوة وأحرار المنصفين في السعودية وسوريا ولبنان, أن المرشد العام بمنجاة من هذه المحنة وأنه لا شك سيبقي خارج مصر إن لم يكن إيثارا للسلامة – وهو إليها في حادة – فحرصا علي استنفار الرأي العام في دنيا العرب والإسلام, للإنكار علي حكام مصر, وحشد كل طاقة من طاقات الخير لشد أزر المجاهيدن داخل الأسوار.

غير أن الهضيبي – إمام الجهاد والصدق والثبات والصبر – ما كاد يسمع أنباء النكثة الجديدة للسلطات المصرية , وما أدت اليه من سجير المحنة والبطش بأهل الدعوة في ارض الكنانة, حتي أمر بالتجهيز للعودة إلي مصر, رواح يفند نصائح أحبابهوالغيورين عليه وعلي دعوته وجماعته, بالبقاء خارج "القفص" خدمة للدعوة, وتزويدا لها بقيادة حرة, تملك من العمل والأعلان وتعبئة الرأي العام ما لا سبيل إلي شيء منه في مصر, بحكم البطش العسكري والرقابة الصحفية.

ذلك بأن الهضيبي الذي كان – عليه رضوان الله – دائم القول بأن الدعوة لله يتكفل بنصرها دون حاجة إلي عباده – كان ينادي بأنه لا يحل لمؤمن بالدعوة أن يدخر عنها جدها يستطيعه, أو مثلا صالحا يستطيع ضربه, مع الاطمئنان بعد ذلك إلي أن نصر الله آت لا محالة, ولو كانت هذه الجهود لا تبلغ قوة ريشة تتحرش بها عاصفة.

وبهذا المنطق الصافي سارع بالرحلة إلي مصر إعذارا إلي الله بضرب المثل واستنفاذ الطاقة. وصيانه للدعوة من أن يشاع أن المرشد العام يهش لقيادته في الرخاء ويترك جنودها دونه يصطلون بنارها في المحنة والباساء.

1. **الأفراج الصحي إباء استمراره بعد الشفاء**: وفي عام 1957 م علي ما اذكره , قررت لجنه من خمسة اطباء مسيحيين- فيما بلغني – أن حاله الهضيبي تنذر بالهلاك, وأنها لا تستطيع تحمل المسؤولية عن بقائه رهن الاعتقال فصدر قرار بالأفراج الصحي عنه, نقل علي أثره إلي بيته حيث توافرت له أسباب العلاج الذي أزاح الله به شبح الخطر عن حياة المرشد الصديق.

بيد ان الهضيبي الذي يعي تبعات القيادة تجاه الجنود, ما لبث أن أخذه الجند إلي أخوانه وأبنائه المسجونين, ولم تطلب نفسه بأن يكون في نظر الطغاة ذلك الواهن الضعيف الذي يتلقف هذه الفرصه لينعم بحياة الدعة متميزا علي إخوة له في الجهاد هو أولاهم بأوفر حظ في البلاء.

لذلك ما كاد يتنسم أريج العافية حتي سار بالكتابة إلي السلطات يبلغها أنه قد عوفي بحمد الله من عارض المرض الذي أوجب الإفراج عنه, وأن باستطاعه العودة إلي السجون لقضاء باقي المدة المحكوم بها عليه.

أما والله لقد كان حسن الهضيبي – علي تواضعه وفراره من الأضواء – بقية السلف وواحد الزمن والشاهد الناطق بمعني الحديث النبوي الشريف : "الخير فيً وفي أمتي إلي يوم القيامة".

1. سأل شمس بدران مدير السجن الحربي الاستاذ الهضيبي بعض الاسئلة ليمل استمارة السجن ما أسمك؟ حسن الهضيبي, ماذا تشتغل؟ المرشد العام للإخوان المسلمين.

فهب شمس بدران غاضبا وقال : ألم تحل الدولة جماعة الإخوان المسلمين؟ فقال له الاستاذ الهضيبي : لقد حلت الدوله جماعة الإخوان المسلمين في مصر أما أنا فالمرشد العام للإخوان المسلمين في العالم. فبهت الذي كفر.

**كيف اختير مرشدا عاما** : كيف اختير الهضيبي مرشدا للإخوان المسلمين مع أنه لم يكن معروفا عنه أي إسهام في حركتهم قبل هذا التاريخ . فكيف ومتي انضم إلي الحركة وماهي المؤهلات التي رشحته لتولي هذه المسئولية الضخمة والعبء الثقيل؟ وتبدأ الطريق مع الهضيبي منذ عام 1943م.

هكذا بدأت صلته بالدعوة علي المعني الاصطلاحي , فقد كان ذلك بمدينة الزقازيق عاصمة إقليم الشرقية . وكانت العاصمة علي موعد مع الإمام الشهيد أن يؤثرها بالزيارة في هذه الليلة التي تقع علي ما أرجح في صيف 1943م , وكان الإخوان المسلمون يحتشدون للعناية بمقدم الإمام البنا أعظم ما يكون الاحتشاد والعناية , ويوسعون نطاق الدعوة إلي الاجتماع به والاستماع إلي أحاديثه فلا يتركون طائفة ولا جماعة ولا هيئة موالية أو محايدة أو مناوئة إلا وجهوا إليها الدعوة لشهود الحفل الجامع الذي يخطب فيه الإمام رحمه الله, ومن أجل ذلك طرقت بطاقات الدعوة لاجتماع تلك الليلة كل باب وغشيت كل مجلس وناد, وولجت إلي محكمة الزقازيق لتهيب برجال القضاء أن يشهدوا جلسة الإخوان المسائية ليقولوا كلمة المنطق والقانون فيما يقرره حسن البنا من كفالة النظام الإسلامي والمباديء القرآنية لاقامة مجتمع وإحياء أمة وبناء دولة علي أسلم القواعد وأمتن الأسس.

وكان بين الذين تلقوا الدعوة رجلان من كبار المستشارين يتميزان بخلق كان سؤر النبوة كأنها اريج الزهر واستقالة كأنها حد السيف. اما احدهما فقد سبق إلي جوار الله وهو المرحوم محمد بك العوارجي وأما الآخر فهو ضيف الله وقدرة المؤمنين به وحارس دعوته وعنوان الصابرين المحتسبين الاستاذ حسن الهضيبي.

تلقي الرجلان الدعوة لحضور حفل الإخوان المسلمين والاستماع إلي خطاب المرشد العام, وبين عوامل الحنين لكلمة الإسلام والاستيئاس من كثرة الأدعياء المتاجرين بالدين وحب الاستطلاع الذي يغري بالوقوف علي كل جديد وبصيص الثقة الواردة من متابع النجاح الذي أصابته دعوة هذا الرجل بين خليط من هذه العوامل والمشاعر قرر المستشاران الكبيران أن يستجيبا لدعوة الإخوان ويستمعا علي خطاب المرشد العام... وكان.

ولست محدثك عما وراء الاستماع إلي حسن البنا حين يصادف نفسا منصفة وقلبا سليما فإنك تستطيع أن تعرف ذلك لا من تلميذ له عارف بل من صحافة الغرب وأدباء الفرنجة الذين كانوا , علي جهلهم بالعربية التي يخطب بها الشهيد, يشعرون بتيار جارف من روح الرجل يغمر أرواحهم ومشاعرهم فيحتاجون إلي كبير جهد وعناء ليحصنوا أنفسهم من حافز الانقياد لدعوته والحاح الوجدان بالتعليق به.

وإنما أحدثك عن اختلاف أثر الاستماع في نفسي الرجلين فان لذلك علاقة بمغزي الحديث ولكي تدرك الفرق بين أثر الاستماع في الرجلين فعليك أن تعلم أن أولهما كا ذا فضل وصلاح يكفيه من الخير أن يصلح في ذاته ويرضي الامانة والضمير فيما حمل من التبعات في نطاق عمله.

وأما الاخر فكانت تملكه الحسرة علي مصير الأمة الإسلامية, ويتقد غيرة علي انقاذهما ولكن استغرافه في واجباته القضائية ويأسه من جدوي المجهود الفردي في بناء أمة واتسام مسالك العمل الجماعي العام بالسوابق والشبهات التي تثير الحذر والريبة كل ذلك كان يحبس غيرة الرجل في صدره فإن جاوزته فإلي مسامع الأصفياء من اخوانه وجلساته.

وهكذا تكيف أثر المرشد العام في مشاعر الرجلين فكان في نفس العوارجي رحمه الله إعجابا بالخطيب ودعاء إلي الله أن يكثر من أمثاله وتمنيات كريمة بأن ينصر الله دعوته. أما الهضيبي فقد حمله التاثير علي تقديم نفسه للمرشد العام حين بدأ معه جلسة استيضاح ومناقشه انتهت بعهد وميثاق وبيعة.

أجل كانت بيعة ربطت سيره إلي الأبد بمصير الدعوة علي مضمون الآية الكريمة ( إن الله اشتري من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ).

ولكن هذه البيعة تتقاضاها الوقوف قليلا لنستشف من خلالها بعض ما حفلت به شخصية الهضيبي العظيم من نفاذ البصيرة وقوة النفس وصفاء الروح.

أجل . سرعان ما كشفت بصيرته النافذة حرارة الصدق والإخلاص في دعوة الإمام ومواهبه أكثر من ثلاثين سنة . وبلغ من قوة نفسه أن أقبل علي الدعوة والحكومة معها في حرب والاحكام العرفية لأصحابها بالمرصاد ومعسكرات الاعتقال تخرج فوجا من رجالها لتستقبل أفواجا أخر, وعبارة الوظيفة عرفت لأصحابها المناصب الكبيرة يخلد بهم إلي القعود والشح, ومقعد المستشار الذي تحفز الهضيبي لنبذه لولا خطة أرادها الإمام الشهيد ذو بريق يسجد له عمالقة الرجال, لا لأنه مطية ذلول إلي مقاعد الوزارة فحسب الحكم ذاته.

وفوق ذلك فقد كشفت هذه البيعة عن مرتبة من صفاء الروح في الرجل قل أن يصيبها خلصاء العارفين.

ألا تراه وهو المشرع المحسود علي مكانته الاجتماعية يمد يده في بشر وبشاشة ليبايع بالقيادة ذلك المعلم في المدارس الابتدائية.

ألا تراه وهو المستشار الكبير تطلب تطيب نفسه بأن يقف في صف الجندي من كثرة غالبه من بسطاء العمال والزراع وحجاب المحاكم وصغار الموظفين.

ألا تراه وقد جاوز الخمسين يسعد بمشاطرة العمل والجهاد جمهورا أكثره من الشباب الذين لم يبلغوا الثلاثين.

ألا تري أن المجتمع الإسلامي يفتقد هذا الصفاء المشرق منذ تلقي دروسه في سعد بن معاذ يسلم علي يد مصعب بن عمير وفي أيوب النصاري يحاصر الأستانة في جند يزيد وفي الخليفة الصديق يمشي راجلا في ركاب أسامة.

في ظل هذه المعاني الرفيعة كانت بيعة الهضيبي فلم يعقبها يوم إلا والهضيبي يزداد بالدعوة وثقة بالجماعة ووفاء للمرشد العام سلفه العظيم.

ومنذ ذلك التاريه والدعوة تسجل للهضيبي مواقف وخطوات تضر وجه المروءة وتشرق صحائف المجاهيدن. وسيشهد القاريء طرفا منها فيما يلي من الاحاديث:

بيد أن سؤالا يضطرب في النفوس و تتهامس به الشفاة لا بد من الإجابة عليه قبل أن نشرع في متابعة الحديث.

ما بال الهضيبي لم يسمع له صوت في الجماعة ولم يكن معروفا لأكثر رجال الدعوة حتي القت إليه بمقاليدها في عام 1951م . مع أنك تقرر أنه كان من صفوة العاملين بالدعوة منذ عام 1943م.

لقد كان هذا "الخفاء" أمرا متفقا عليه بين الإمام الشهيد والهضيبي الصديق من أول لحظة انعقدت فيها البيعة, وكان مرد هذا الاتفاق إلي طبيعة التواضع وحب العمل في خفاء من جانب الهضيبي وإلي الرغبة في أن يكون للدعوة جنودا وأنصار غير ظاهرين من جانب البنا. والي ما يحظره القانون المصري علي رجال القضاء من الانتساب إلي الهيئات والجماعات التي تشتغل " بالسياسة ".

لقد كان صديقا حميما ومستشار ناصحا للأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا شخصيا, دون أن تكون له سابقة علاقة أو انتساب لجماعة الإخوان المسلمين, وهي في عنفوان نفوذها وتسابق كبار الناس علي خطب ودها, والاعتزاز بإعلان الانتماء إليها بشكل أو بآخر, بيد ان الأستاذ الهضيبي لبث في أجوائه الخاصة, مؤثرا أن يعمل لله من خلال أسرته ووظيفته في بيئه وعزلته.

ولما وقع اختيار الإخوان المسلمين عليه, وفاوضوه في قبول مقام الإرشاد العام, اعتذر بعدم معرفته السابقة بتشكيلات الجماعة, وبما يعتقد في نفسه من عدم الجدارة وبما هو في طبيعته من العزوف عن المواقع العامة والجماهيرية التي هي بالضرورة من مستلزمات قيادة الجماعة الإسلامية.

فما اصر عليه كبار الإخوان وطالبوه بأن يقبل الاضطلاع بمهام هذا المقام , لإلحاح الحاجة إليه , ولأداء حق الله فيه مهما كلفه ذلك من تضحيات استجاب لداعي الله وترك ما كان فيه من حياة مطمئنة مستقرة لا عنت فيها ولا إرهاق, وقال:

"إني أعلم أنني اقدم علي قيادة دعوة استشهد قائدها الأول قتلا واغتيالا, وعندما شردوا وأوذوا في سبيل الله, وقد ألقي ما لاقوا وإني علي ما اعتقد في نفسي من عدم جدارة بأن أخلف إماما مصلحا مثل حسن البنا رحمه الله, لاقدم وانزل عند رغبة الإخوان أداء لحق الله وعلا , لا أبتغي إلا وجهه, ولا أستعين إلا بقدرته وقوته".

كانت قوي البغي والطغيان بمختلف أجنحتها من صهيونية واستعمار صليبي غربي وماركسي شرقي قد أدرك أن دعوة اخوان المسلمين هي الخطر الحقيقي الكبر علي بغيها وعدوانها , لأنها امتداد من أصالة الإسلام علي سنن الراشدين والمصلحين فأجمعوا كيدهم علي محاربتهم والقضاء عليها.

وهكذا بدأ المرشد العام حسن الهضيبي حياته الجديدة في مكابدة لا تهدا, ومعناة لا تنقطع , وقد امتحنت الجماعة وهو علي راسها مرات, وسجن وحكم عليه بالاعدام ثم بدل ذلك بالأشغال الشاقة وأجبر علي ممارستها فعلا وهو يسمع ويري إعدام وتعذيب كبار أعوانه وإخوانه وأبنائه وأحبائه. وقد رغب إليه أن يتهاون في حق الدعوة أو يهادن وهو في ذروة المحنة, فرض بإباء وصبر في مضاء .. ومرض بالذبحة الصدرية فأخرج للعلاج ثم أعيد للاحتجاز.

ومرت فترة المحنة الأولي فاطلق سراحه وعاد إلي العمل الجاد والجهاد والصادق, وجرت معه مفاوضات ليتراخي ويلين, فما زاد ذلك إلا ثباتا في الحق وإمهانا في الجهاد, يدعو إلي سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة لم يهن ولم يستكن ولم يبدل تبديلا.

وكانت المحنة الثانية فجاءت أشد ضراوة, وكان قد شاخ واضر به المرض ومشقة السعي في طريق محفوفة بالمكارهوالعواثر , وحكم عليه من جديد بالسجن وبالاشغال الشاقة, واعدم وعزل أعوانه وإخوانه بين سمعه وبصره, وهو هو كالطود الذي لا يتزعزع, واشتد عليه المرض فعرض عليه أن يطلق سراحه استثناء, فأبي وطلب أن يعم الإنصاف سائر المعذبين والمعتقلين من ابناء الجماعة المؤمنة الصابرة , وألا فهو يؤثر أن يبقي في السجن مع جماعته وإخوانه .... وهكذا كان .

ودار الدهر دورته وأخذ الله من قضي عدله أن يأخذهم, أخذ عزيز مقتدر, واطلق سراح الهضيبي فوجا بعد فوج.

6- **نحن علي العهد ياقائد الشهداء(2):** الإسلام دين حياة ولا حياة مطمئنه بدون نظام, ولهذا حرص الشارع الحكيم علي تنظيم كل شيء في حياة الفرد والجماعة, فنهي الفرد عن العزلة, ودفعه للعيش والتعاون مع الجماعة, وأوصاه بعدم الخروج عليها مادامت علي الحق, ولكي لا تتضارب مصالح الأفراد أو تتصارع كان لا بد أن يوجد نظام شامل ينظم شؤون حياة الأفراد والجماعات, ويحدد لكل فرد ماله وماعليه, وأن يوجد لكل جماعة يسهر علي تطبيق هذا النظام ويقف عند حدوده.

والقيادة ركن من أركان كل جماعة مهما صغر حجمها, ولهذا قال عليه الصلاة والسلام "إذا كنتم ثلاثه فأمروا أحدكم" والقائد جزء من الدعوة, ولا دعوة بغير قيادة, وعلي قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة النظام وأحكام خططها ونجاحها في الوصول إلي غايتها وتغلبها علي ما يعترضها من عقبات وصعاب " فأولي لهم طاعة وقول معروف " وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية والأستاذ بالأفادة العلمية والشيخ بالتربية الروحية والقائد بحكم السياسة العامو للدعوة, ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعا, والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات.

لقد تولي الإمام الشهيد حسن البنا قيادة الحركة الإسلامية منذ عام 1928م وبقي يحمل لواءها ويسير بها من حسن إلي أحسن حتي أصبحت من القوة بمكان جعل أعوان الاستعمار والصهيونية يجتمعون علي حربها لأنها أصبحت عقبة كاداء في وجه مخططاتهم. الاستعماريه في العالم الإسلامي, فدبروا اغتيال الإمام الشهيد علي يد الطاغية فاروق 1949, وزجوا بجنودها العائدين من فلسطين في غياهب السجون والمعتقلات ولكن ذلك ما كان يزيد هذه الدعوة إلا تماسكا وإيمانا, ومضي الداعية الشهيد إلي ربه بعد أن أرسي قواعد هذه الدعوة وبني صرحها فأحسن البناء, والتحق هذا القائد العظيم بمواكب الشهداء والصالحين.

ومنذ ذلك الحين وهذه الدعوة تقدم الشهداء, كل ذنبهم أنهم قالوا ربنا الله, وكل جرمهم أنهم قالوا لكل العملاء والمستعمرين "لا" حرصا علي أمتهم وحدبا علي قومهم, لتخلصهم من براثن الصهاينة والمستعمرين, الذين أرلدوا هذه الإمة بقرة حلوبا تدر عليهم المال الوفير والخير العميم.

ولما كانت هذه الدعوة دعوة الله, وهو جلت قدرته القوام عليها الحامي لها فقد قيض لها قائد آخر اختاره جنودها من بينهم, فحمل اللواء بحزم وإيمان , وسار نحو الغاية بثبات ويقين , لا تفل في عزمه العقبات ولا تثنيه عن الغاية الشدائد فكان خير خلف لخير سلف, ذلكم المجاهد الصابر "حسن الهضيبي" فبايعه إخوانه ولسان حال كل منهم يقول:

إذا مات منا سيد قام سيد

قؤول لما قال الكرام فعول

عمل الهضيبي رحمه الله قاضيا ثم مستشارا حوالي ثلاثين عاما كان خلالها مثال العدل والنزاهة كما كان شديد الالتزام بالقانون والنظام يدافع عن الحقوق والحريات ويرسي دعائم الحق والعدل, وكان ينطلق في كل ذلك منكتاب الله وسنه رسوله صلي الله عليه وسلم فقد كان يفهم الإسلام فهما كاملا شاملا ويؤمن أنه لا نجاة لهذه الإمة مما هي فيه إلا بتطبيق شريعة الإسلام ومبادئه, سأله يوما رئيس محكمة النقض والإبرام:

"ياحسن ألست معي أن أكثر أحكام التشريع المدني الحديث تقابل أحكاما مماثلة في الفقه الإسلامي؟"

قال الأستاذ الهضيبي: بلي.

قال الرئيس : فما هو إذا الأساس الكبير والمطالبة والملحة من جانبك بالرجوع إلي الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها؟.

قال : هو أن الله تعالي قال " وأن احكم بينهم بما أنزل الله " ولم يقل أن احكم بينهم بمثل ما أنزل الله, إن تحكيم شريعة الله في عقيدة المسلم عبادة تؤدي امتثالا لأمر الله, وذلك هو مصدر بركتها وسر قوتها في نفوس المؤمنين بها وفي كيان الجماعة المؤمنة.

وحين عرض مشروع تنقيح القانون المدني المصري عام 1945 علي الأستاذ الهضيبي , سجل كتابة أنه يرفض مناقشة هذا المشروع من حيث المبدا " لأنه لم يقم اساسا علي الكتاب والسنة"

وفي عام 1947 نشر الستاذ الهضيبي رحمه لله مقالا في جريدة أخبار اليوم المصرية وذلك حين عرض عليه تعديل مشروع القانون المصري قال فيه " إن أحسن تعديل في نظري هو سن قانون من مادة واحدة يقضي بتطبيق الشريعة الإسلامية في الأحوال الجنائية والمدنية" وقال :

" لقد أعلنت عن رايي أمام لجنة تعديل القانون المدني في مجلس الشيوخ فقلت : يجب أن يكون قانوننا هو القرآن والسنة في جميع شؤون حياتنا وليس في الشؤون التشريعية وحدها, إن الإسلام دين متماسك غير قابل للتجزئة فيجب تطبيق جميع أحكامه في كل أمة تدين به".

وهذا هو الرأي الذي جاهرت به وسأظل ادعو اليه, عن يقين واقتناع , واود أن أوكد أنني قد انتهيت من مراجعة الشريعة الإسلامية ودراستها إلي أنه ليس في تشريعات الأجانب وقوانينهم ما لا يتضمنه القرآن الكريم , والحلال بين والحرام بين وكلاهما واضح المعالم والحدود إلي يوم الدين.

هذا ما قلته امام اللجنة وإنني علي يقين أنهم لن يأخذوا به, ولكن لا حرج علي في ذلك ما دمت مؤمنا بما أقول ولكني ظني أنه بعد فترة أنه تمتد إلي عشرين أو ثلاثين سنه سيتجه الامر إلي الأخذ بما أقول وكلما شرح الله صدور الناس بالقرآن قرب اليوم الذي يسود فيه هذا الراي.

لقد رأينا أن جميع القوانين التي أخذناها عن الأجانب لم تصلح من حال بلادنا ولم تحقق ما كان يرجي منها , فهذه السجون ملأي بالسجناء والجرائم تزداد والفقر ينتشر والحالة الخلقية والاجتماعية تسوء يوم عن سابقة ولن يصلح الحال إلا إذا نظمنا علاقتنا بالسنن الكونية التي تنزل بجملة أسرارها ومعالمها في القرآن , وإلا عشنا في بيوتنا وبين أهلينا وأولادنا ومع الناس اجميعن عيشة قرآنية.

" وفي العاشر من ديسمبر 1952م , أعلن إلغاء الدستور المصري القديم, وبعد يومين عين مائة عضو لوضع دستور جديد كان بينهم ثلاثة من الإخوان ونشرت " مجلة الدعوة" مقالا تدعو إلي وضع الدستور علي اسس إسلامية وطالب الهضيبي بالاستفتاء ليتبين أختيار مصر شرائع الإسلام أم شرائع الغرب, فإذا رات أن تحكم بالإسلام كان علي لجنة الدستور أن تنفذ ذلك, وإذا ارادت الأخذ بشرائع الغرب وهو رأي لا يمكن أن يقول به مسلم عرفنا أنفسنا وعلمنا الأمة أمر ربها وما يجب عليها".

كان البنا رحمه الله داعية ينزل الناس منازلهم ويختار الأسلوب المناسب لعرض الدعوة عليهم وكسبهم لطرفنا , ومثل هذا الأسلوب كان يعتمد مع كبار الموظفين أمثال الأستاذ الهضيبي , فقد كان حريصا علي سرية ارتباطه بالدعوة, ولهذا كان الهضيبي يحضر مع البنا رحمهما الله من الأسر والجلسات الخاصة, كما يستشيره في كثير من الأمور بل كان يري فيه أخا أكبر له يستشيره في الازمات والمعضلات ويدخره ليوم عصيب ووقت رهيب ويحدث إخوانه عنه في جلساته بكثير من الإعجاب والتقدير.

ويذكر الهضيبي رحمه الله أن علاقته بالإخوان قد بدأت منذ عام 1942م , وقد اقتنع بهذه الدعوة بالطريق العملي قبل الطريق النظري, وذلك حينما لمس من بعض اقاربه الفلاحين إدراكا لمسائل كثيرة في الدين والسياسة ليس من عادة أمثالهم الإلمام بها و خاصة أنهم كانوا شبه أميين, فلما علم أن ذلك يعود إلي الإخوان , أعجب بهذه الدعوة ايما إعجاب, وأخذ يحرص علي حضور خطب الجمعة في المساجد التي كان يخطب فيها الأستاذ البنا رحمه الله , وأخيرا تم لقاؤه مع البنا حيث اطلع منه مباشرة علي أهداف الدعوة ومبادئها, وبقيت علاقته بالنبا والإخوان سرية حتي أعلن عن انتخابه مرشدا عاما للجماعة عام 1951م.

وفي الثاني عشر من شهر شباط 1949 اغتال زبانية فاروق الشهيد حسن البنا رحمه الله, فشعر بذلك مركز المرشد العام للدعوة , ولما كانت القيادة ركنا من اركان هذه الدعوة وخاصة في الظروف العصيبة التي كان يمر بها الاخوان في ذلك الوقت , فقد أخذ الإخوان يبحثون عن قائد آخر يقود سفينة الدعوة إلي شاطيء السلام, ورشحوا لهذا المنصب أكثر من اخ من الإخوان العاملين إلا أن الأغلبية في الهيئة التاسيسية للإخوان اجمعت علي انتخاب "حسن الهضيبي" مرشدا عاما, وبقي الهضيبي رحمه الله يؤدي عمله سرا نحو ستة شهور كما أنه لم يترك العمل في القضاء خلالها ولما سمحت حكومة النحاس باشا للهيئة التأسيسية للإخوان بالاجتماع , طلب أعضاؤها من الهضيبي أن يرأي اجتماع الهيئة بصفته مرشدا للجماعة ولكنه رفض طلبهم إذ اعتبر انتخابه من قبل الهيئة التأسيسية في المرحلة السرية من الدعوة لا يمثل رأي جمهور الإخوان وطلب منهم أن ينتخبوا مرشدا آخر غيره, ولكن الإخوان رفضوا طلبه, وقصدت وفود الإخوان من جميع مصر بيته, وألحت عليه بالبقاء كمرشد عام للجماعة, وبعد أخذ ورد وافق علي مطالب وفود الإخوان وقدم استقالته من القضاء ليتفرغ للعمل لدعوة الله, وفي 17 تشرين أول 1951م أعلن حسن الهضيبي مرشدا عاما لجماعة الإخوان المسلمين, ومع ذلك قام رحمه الله بجولة علي جميع شعب الإخوان ليتأكد أن الوفود التي حضرت إليه تمثل راي جميع الإخوان في الشعب وفعلا كان, فبايعه كل من التقي به من الإخوان.

لقد رأي أكثرية الإخوان في الهضيبي ضالتهم المنشودة كقائد لدعوتهم, لما كان يتصف به رحمه الله من صفات تصلح لقيادة الدعوة في مراحلها القادمة, فالدعوة في عهد البنا رحمه الله كانت تمر في فترة التبشير واختيار الأنصار وإرساء القواعد وتوضيح الأهداف والمباديء, ولهذا كانت تحتاج إلي قائد عظيم كالبنا رحمه الله استطاع أن يقوم بهذه المهمة ويصل بالدعوة إلي مرحلة متقدمة من البناء والعمل والتربية, أما الفترة التي قيض الله فيها الهضيبي لقيادة الدعوة فيها, وإن كانت تعتبر استمرار للفترة السابقة إلا أنها تتميز عنها بأنها مرحلة المجابهة السافرة مع الاعداء, وإعلاء صرح البناء, وتفضيل أهداف الدعوة ومبادئها والسير فيها لتحقيق هذه الأهداف, كما أن المحنة الأولي التي اصابت الإخوان علي يد إبراهيم عبد الهادي كان لها آثار خطيرة علي جبهة الإخوان الداخلية, كما اصبح العداء واضحا بين الإخوان وبين فاروق الذي حل جماعتهم وصادر ممتلكاتهم وإغتال مرشدهم الشهيد حسن البنا, ولهذا كانت تحتاج هذه المرحلة إلي قائد ذي صفات معينة يخرج بالدعوة في هدوء وصمت مما هي فيه من المشاكل ويزيل من أمامها ما يعترضها من عقبات ويسير بها نحو أهداف الإسلام الكبري بحزم وإيمان, ولهذا كانت الدعوة بحاجة إلي الصبر والثبات وحسن الإدارة وسعة الصدر والحنكة السياسية أكثر من حاجتها إلي الخطابة والضجيج وعرض العضلات وإن كانت هذه لا غني عنها, في وقت أدرك العالم الغربي خطورة أهداف هذه الدعوة علي مصالحة في العالم الإسلامي , ولهذا رمتها دولة عن قوس واحدة حين أعلن ممثلو كل من إنجلترا وفرنسا وأمريكا الحرب علي دعوة الإخوان حين اجتمعوا في القاعدة البريطانية في "فايد" علي السويس عام 1949.

لم يكن الهضيبي خطيبا كالبنا, ولكنه كان علي علم تام بمباديء الدعوة وأهدافها, بل علي العكس كان يغلب عليه قلة الكلام والصمت الذي كان يزعج أعداء الله , ولكن بجانب ذلك كان متزنا إذا عمل لا يعرف الكل ولا الملل ولا يخشي في الله لومة لائم , لقد تميز رحمه الله بالصبروالثبات وحسن الإدارة والحنكة السياسية وسعه الصدر, كما كان يؤمن بالشوري والنقد الذاتي البناء ويعتبرهما أسسا ضرورية لبناء الجبهة الداخلية للجماعة, أما الحكام فقد كان عنده لكل مقام مقال حيث كان لبقا دبلوماسيا حيث تصلح اللباقة والدبلوماسية, كما كان حازما شديدا حيث لا ينفع إلا الحزم والشدة , فبينما كانت قوات الإخوان تضرب القاعدة البريطانية في القنال عام 1951م وكانت الأحزاب الأخري تدعي لنفسها ما يعمله الإخوان, كان الهضيبي رحمه الله يقف في المركز العام ليقول للإخوان " أيها الإخوان أوصيكم بتقوي الله وقراءة القرآن الكريم وعدم التدخل في السياسة" أما الحقيقة فقد كان رحمه الله هو خلف جميع تنظيمات الإخوان في القنال ويطلع بنفسه علي كل صغيرة وكبيرة من أعمالهم والذي يراجع كتاب "المقاومة السرية" يجد فيه تفصيل ذلك كله ولما حاول الإنجليز في أثناء الحرب الإيقاع بين الإخوان والأقباط , التقي الهضيبي رحمه الله ببابا الاقباط وتفاهم معه علي كل شيء حتي يفوت الفرصة علي أعداء الله, وظهر المرشد العام للإخوان المسلمين في اليوم التالي في الجرائد المصرية يصافح زعيم الأقباط ويعلن اتفاقهما علي مصلحة مصر , كما كان رحمه الله أكثر الإخوان معرفة بظروف المرحلة القادمة للدعوة وقد أثبتت الايام أنه كان رحمه الله خير خلف لخير سلف وأنه قاد الدعوة في الطريق الذي يجب أن تسير فيه, كما رفض أن تنحني دعوة الله أمام الهجمة الصهيونية الاستعمارية عليها, فحفظ لهذه الدعوة شخصيتها وكرامتها و إذ لم يعرف عنه رحمه الله أنه بالرغم من كبر سنه وقسوة السجن والتعذيب الذي كان يلاقيه أنه لانت له قناة أو سمع منه السلطان وزبانيته إلا ما يجلب لهم الغم وما ينغص عليهم حياتهم.

ومنصب المرشد العام في دعوة الإخوان تكليفا وليس تشريف, وخاصه بالنسبة لرجل تجاوز الستين من العمر, ومع أن الهضيبي كان يدرك هذا ويدرك أنه ورث تركة ثقيلة ودعوة كبيرة , وأعداء كثير عددهم وعظيمة امكاناتهم, مع هذا كله واجه هذه الأعباء جميعا بقلب ثابت وإيمان صادق لا يعرف الملل ولا الكسل, لقد كان عليه أن يجمع شمل الإخوان وينظم صفوفهم ويقوي جبهتهم الداخلية حتي يكونوا المنطلق الثابت والقاعدة القوية التي تنطلق منها دعوتهم لتحقيق أهداف الإسلام الكبري. كما كان عليه أن يدفع عجلة هذه الدعوة إلي الأمام لكي تشق طريقها في مصر خاصة والعالم العربي والإسلامي بشكل عام , كما كان عليه رحمه الله أن يواجه قوي الظالم والبغي والعدوان والتي رمت دعوة الله عن قوس واحدة, وقررت خوض المعركة معها مهما تكن النتائج, وبالرغم ان فترة ولايته قبل الحل كانت قصيرة إذ لم تتجاوز الثلاث سنوات, فقد حقق الكثير من اهداف هذه المرحلة, ولولا أن المؤامرة علي دعوة الإخوان كانت مؤامرة عالمية جند لها أعداء الله كل جهودهم وهاجموها قبل أن تستعيد قوتها بعد المحنة الأولي وقبل أن تستعد للنزال, لاستطاع الهضيبي رحمه الله أن يصل بالدعوة إلي أهدافها المرسومة ولكن الله غالب علي أمره , لا راد لقضائه.

لقد بدأ الهضيبي من حيث انتهي سلفه البنا رحمهما الله والذي يراجع ما كتبه من مقالات في مجلة " المسلمون" تحت عنوان " هذا القرآن " وماكتبه في مجلة "الإخوان المسلمون " وما أدلي به من أحاديث وتصريحات للمجلات المصرية والأجنبية وما كتبه إلي الملوك والروساء في الدولة العربية والإسلامية, ليدرك تفهمه العميق للإسلام خاصة ولدعوة الإخوان بشكل عام, لقد كان يدرك رحمه الله أن المرحلة الحالية هي مرحلة الانطلاق لتحقيق هدف الإسلام ألا وهو إقامة دولة الإسلام في الأرض, ولهذا نجد هذا الموضوع غالب علي كل أحاديثه في رسالته بعنوان "دستورنا" وفي أحاديثه مع الإخوان حيث كان يقول لهم " أيها الإخوان أقيموا دوله الإسلام في صدوركم تقم في أرضكم" ويقول : "دوله الباطل ساعة, ودولة الحق إلي قيام الساعة" . وفي أول لقاء بينه وبين الإخوان في دار المركز العام قال : " أيها الإخوان, هذا أول لقاء بيني وبينكم ويسعدني أن أوصيكم بتقوي الله وطاعته, والإقبال علي الله بقلوب خاشعة ونفوس مخلصة وترتيل القرآن الكريم, وأن تستعدوا في هذه الظروف التي تمر بها بلادنا والله معنا ينصرنا ويوفقنا".

وكتب افتتاحية العدد الأول من مجلة "الإخوان المسلمون" في 20 ايار 1954م , فقال : "سيجد الناس أن الإسلام ليس دين عبادة وصوم وصلاة, ولا دين قطع الأيدي ورجم الزنا’ فقط , ولا دين الفضائل فحسب, سيجدون أنه دين عبادة تطهر النفس وتزكي القلب وتصل العبد بربه حتي يكون قادرا علي تحمل تبعات الحياة ومشاقها, وسيجدون أنه دين اقام الحياة الاجتماعية بين المسلمين علي أكمل نظام وأوفاه بحاجات الناس, وسيجدون أنه عالج الأخلاق والفضائل وأدب السلوك فأمر بالحسن ونهي عن القبيح, وسيجدون أنه أوجب علي المسلمين الجهاد إذا ما ديست أرضهم واحتلها العدو و وسيجدون كيف عالج الإسلام مشكلات العمال وكيف نظر إلي ملكية الإرض بعدالة لا تعادلها عدالة, وكيف عالج شؤون الأسرة كما عالج شؤون الحكم في قواعده العامة الثابتة التي لا تتغير وتترك التفصيل لاختلاف الظروف"

وفي تصريح له لصحيفة "لوموند" الفرنسية في شهر آب 1952م , سأله مراسل الجريدة: هل تسعون إلي أن تحكموا مصر بتعاليم الإسلام ؟ فقال الهضيبي: إن الذي يهمنا هو أن تحكم البلاد بالإسلام سواء أكان الحكم للإخوان أم لغيرهم , ولما سأله ولكنكم لا تستطيعون إلا إذا دربتم رجالكم عمليا عليه؟ فرد عليه الهضيبي قائلا : " إن الإخوان منبثون في كل مرافق البلاد"

وفي تصريح له لجريدة "المصري" بتاريخ 18 آب 1953م قال :

"إن الشيوعية مذهب قام علي نظم مادية بحتة , وهو ينكر الأديان جميعا, ولا يجعل صلة بين الأنسان وشيء كما يجهلها بينه وبين لقمة العيش, وأما الأسلام فقد بني أول علي توحيد الله وجعل الإنسان موصولا به دائما في كل أعماله لا يقصد بعمله إلا وجه الله , وبني علي العبادات والاخلاق وتنظيم الحياة الاجتماعية تنظيما لا تطمع الإنسانية بأحسن منه , ولذلك نجد الفارق بين الشيوعية والإسلام عظيما, وهي تتجافي مع عقائده وآدابه وأخلاقه ونظامه الاجتماعي ....واما روسيا كدولة فليس بيننا وبينها ما يدعو للعداء, وأما كفكرة فلا نخشاها إذا علمنا بالإسلام علي الوجه الصحيح واخذنا بكل تعاليمه, ولا بد لهذه التعاليم من أن تنتصر علي كل فكرة أخري"

وقال في مجلة "المسلمون" : " إن حكام المسلمين بدعون أنهم يحكمون بالقرآن وهم عن معانيه بعيدون و يحسبون أنه صلاة وصوم وحج , ولا يركون أنه مع ذلك علم وفهم وتربية وأخلاق وجهاد في سبيل الله , ومعاملة وتحقيق العدل الاجتماعي الذي كفله الله للناس علي صورة لم يصل اليها الناس في كافة عصورهم".

وقال " وليعلم المسلم أنه لا يكون مسلما حقا إلا إذا اصبحت عقيدته جزءا لا يتجزأ من أخلاقه وسلوكه, فيكون عادلا مع الناس جميعا, ويحذر نوازع الهوي ان تميل به عن هذا العدل مع أقرب الناس إليه, فلا يذكر إخوانه بسوء ولا يغتابهم ولا يلمزهم فإن أكثر الشرور إنما ينشا عن مثل ذلك".

كما أصدر رسالة بعنوان " دستورنا " تناول فيها بإيجاز ما يتضمنه هذا الدستور الإلهي من شؤون العبادات والمعاملات والعقوبات, وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وأحكام التربية والجهاد والأحوال الشخصية لغير المسلمين, واجاب علي سؤال يتردد علي كثير من الألسن: هل الحكم بالقرآن فرض ؟ كما وضح أن الإخوان في دعوتهم متبعون وليسوا مبتدعين حين قال " فنحن حين نطالب بالعمل حسب كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم لا نبغي من وراء ذلك تطبيق الاحكام الواردة في القرآن فحسب ولكننا نرجو أن يجعل المسلمون القرآن منهاجا يسيرون عليه في الحياة ويطبقونه بحذافيره, وهو أفضل لنا من أي دستور آخر, لأن القرآن هو الدستور الكامل الشامل الذي لم يترك صغيرى ولا كبيرة في بناء الأمة إلا عالجها تارة بالتفصيل وتارة بالإجمال تاركا لها أن تمضي في التفصيل علي ماتقتضيه مصالحهم ولا يتعارض مع الأصول التي وضعها".

والمشكلة الخارجية الرئيسية التي واجهها المرحوم الهضيبي أثناء ولايته قبل حل الجماعة هي "علاقة الإخوان بالثورة المصرية " والتي بدأت بالوفاق وانتهت بالخلاف وأعتقد أنه لم يكن هناك اتفاق رسمي بين الإخوان ورجال الثورة ولكن الأتفاق بينهم كان عرضيا وضد الخطوط الرئيسية للفساد الذي كان مستشريا في مصر والذي لا يختلف فيه اثنان من المصريين مثل فساد فاروق , والاحتلال البريطاني, والفساد الاجتماعي وليس معني اتفاق الإخوان مع الثورة علي تحقيق هذه الأهداف أن الاتفاق بينهم كان ضمن خطة معينة تبناها الطرفان. إذ ليس من المعقول أن يتعاون الإخوان مع أشخاص عسكريين مجهولين في انتمائهم, مخالفين في اعتقاداتهم وميولهم الحزبية.

لقد تم الاتفاق بين الصهيونية والاستعمار لضرب الإخوان منذ عام 1949 علي إثر اجتماع عقد سفراء كل من بريطانيا وأمريكا وفرنسا في القاعدة البريطانية في القنال وكانت محنة الإخوان الأولي علي يد فاروق ولكن هذه المحنة لم تزد الإخوان إلا قوة وشعبية , مما أكد لهذه الدول أن فاروق أضعف من أن يستمر في عملية التصفية, وقد أفرج فعلا عن الإخوان بضغط شعبي عام 1951م, والذي يقرأ الكتب التي كتبها عملاء المخابرات الأمريكية في الوطن العربي يدرك أن الهدف من الانقلاب المصري عام 1952م كان إيجاد القيادة الحازمة القوية التي تستطع ضرب الإخوان وتصفيتهم.

لقد شعر الصهاينة والمستعمرين أن دعوة الإخوان هي العدو الحقيقي الذي يتهدد أطماعهم في العالم الإسلامة والتي تهدف إلي التصدي لكل حركة إسلامية تعمل علي تجسيد الإسلام في كيان سياسي حتي يبقي العرب المسلمون ضعفاء متفرقين يسهل استغلالهم واستعمارهم, ولهذا واجه الإخوان عام 1954م دولا كبري لها امكانيات ضخمة ومخابرات منظمة. أما العساكر الذين تصدوا للإخوان فلم يكونوا سوي قفازات تتستر خلفها الأيدي الخفية, لقد واجه الإخوان في هذه المحنة كل قوي الشر في العالم من يهود وشيوعية وصليبية سواء تمثلت بأسماء عربية أو أجنبية.

بدات علاقة الإخوان بالأنقلاب المصري بالاتفاق في وجهات النظر علي الصعيد الوطني مثل إخراج الإنجليز وإصلا الحكومة والجيش وإخراج فاروق, دون أن يوافق الإخوان علي الزج بهم في معركة ليست في مخططهم, وكان الأستاذ حسن عشماوي" هو حركة الوصل بين الإخوان ورجال الثورة, وقبل قيام الانقلاب المصري بيومين اتصل أحد أعضاء هذا الانقلاب بالأخ "حسن" وأبلغه بعزم الضباط علي القيام بانقلابهم. ولما كان الهضيبي رحمه الله يعلم أبعاد الظروف الراهنة في مصر فلم يكن متفائلا ولا مخدوعا, ولهذا لما أبلغه الاخ "حسن" بالخبر وتم البحث في مدي تاييد الإخوان للأنقلاب قال المرشد لقيادة الإخوان: " إن تنفيذ الانقلاب علي يد الجيش معناه السير في طريق الحكم العسكري والدكتاتورية وهذا لا يحقق رغبات الشعب المصري ولا يتماشي مع أصول الإسلام لأن الحرية الفردية هي اساس من اسس الإسلام" , ولما أخبره العشماوي بأن الجيش سيقوم حتما بالانقلاب قال له المرشد: "أنه لن يمنع الإخوان من تاييد حركة الجيش وأنه سيأمرهم بمعاونته إذا ما حاولت قوات الإنجليز في منطقة القناة التدخل لعرقلة حركة الجيش المصري ثم أنهي المرشد حديثه بأنه سيظل يؤيد حركة الجيش طالما تسعي لتحقيق آمال الشعب, واعتبر العشماوي ذلك تاييدا من المرشد للحركة. فصدرت الأوامر لشعب الإخوان بتاييد الوضع الجديد" .

لقد اشترط المرشد العام رحمه الله أن الإخوان سيؤيدون حركة الجيش إذا ما حاولت القوات البريطانية التدخل, ولما لم تتدخل هذه القوات اقتصر تاييد الإخوان للحركة علي حفظ الأمن. كما اشترط أيضا أن الإخوان سيؤيدون الحركة طالما بقيت تعمل علي تحقيق آمال الشعب, أما ما كان يجري خلف الكواليس فلم يكن الإخوان علي علم به, وقد تم الاصطدام بين الإخوان ورجال الانقلاب لأنهم حادوا بالحركة عن تحقيق آمال الشعب المصري, وقد حاول الإخوان في بداية الأمرتفادي هذا الصدام حفظا علي المصلحة العامة للأمة , إلا أنهم تأكد لهم بعد ذلك أن الصدام هو جزء من معركة الحق والباطل وأنه لا بد مما ليس منه بد, ولهذا كان الصدام شديد وعنيفا ضحي فيه الإخوان بدمائهم وأرواحهم في سبيل دين الله ولتحقيق مصلحة شعبهم.

وحين اصدر رئيس وزراء مصر قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين عام 1954م بعث إليه الاستاذ حسن الهضيبي بالرسالة التالية:

" وقرار حل الإخوان, وإن انزل اللافتات عن دورهم, فإنه لم يغير الحقيقة الواقعة وهي أن الإخوان المسلمين لا يمكن حلهم, لأن الرابطة التي تربط بينهم هي الاعتصام بحبل الله المتين وهي أقوي من كل قوة , ولا تزال هذه الرابطة قائمة وستبقي كذلك بإذن الله, ومصر ليست ملكا لفئة معينة ولا يحق لأحد أن يفرض وصايته عليها ولا أن يتصرف في شؤونها دون الرجوع إليها والنزول علي إرادتها , لذلك كان من أوجب الواجبات علي الإخوان المسلمين أن يذكرونهم بأنه لا يمكن أن يبت في شؤون البلاد في غيبتهم. وكل ما يحصل من هذا القبيل لن يكون له أثر في استقرار الأحوال ولا يفيد البلاد بشيء".

ومهما يكن من أمر فقد صدق حسن الهضيبي في خط رجال الثورة, فقد قادوا الشعب المصري إلي الهاوية والفقر والهزيمة والدكتاتورية, ولم يكن بإمكانهم ذلك لو لم تكن الأسد مكبلة في غياهب السجون والمعتقلات. وإذا كانت المعارك تقاس بنتائجها النهائية لا بمقدار الخسائر التي لحقت الطرفين المتنازعين, وإذا كانت نتائج المعارك تقاس بمقدار الطرف المهاجم لأهدافه التي حددها مسبقا قبل المعركة فإنه يمكن القول عن أعداء الله قد فشلوا في تحقيق هدفهم النهائي ألا وهو القضاء علي الإخوان المسلمين , فقد اثبتت تقارير المخابرات الاستعمارية أن المحن لم تزد الإخوان إلا قوة وثباتا, كما لم تزد دعوتهم إلا اتساعا وانتشارا, وكثيرا ما سمعنا الحكام يتكلمون عن "الثورة المضادة" وعن التحرك المضاد "للرجعية الإسلامية" وذهب الطغاة وبقيت دعوة الله عالية اللواء رافعة الجبين.

وأما أنتم ياأتباع الهضيبي, فقد غاب عنكم الأخ الكبير الذي طالما وسعتكم محبته ورعايته, والقائد الفذ الذي حمل لواء دعوتكم وصبر علي ذلك وصابر, والمرشد الأمين الذي أنار لكم الطريق إلي النصر والداعية المؤمن الذي حافظ علي كرامة دعوتكم وبقي يقول للطغاة "لا" رغم كبر سنه وضعف جسمه وعمق الجروح والقرح في جسده, وثبت علي ذلك ثمانية عشر عاما حتي قضي نحبه مقبلا غير مدبرو امد من جسمه جسرا تعبرون عليه إلي النصر إن شاء الله ولئن مات الهضيبي فان عزاءنا أن دعوة الله باقية شامخة, وأنه ضرب لنا أورع الأمثال في الصبر عند اللقاء والثبات علي الحق, وما علينا إلا أن نحذو حذوه وننسج علي منواله, فإلي جنة الخلد ياقائد الشهداء, وسنبقي علي العهد نحتضن راية الله بقلوبنا ونفدي دعوته بأرواحنا حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

المصادر:

1. **مصادر موضوع (نحن علي العهد ياقائد الشهداء):**
2. حسن البنا "رسالة التعاليم"
3. عن مجلة " المسلمون" المجلد الثامن العدد التاسع
4. عن مجلة "المسلمون" العد دالثاني المجلد التاسع.
5. عن مجلة "المسلمون العدد 206.
6. مجلة الدعوة 6 نوفمبر 1951.
7. عن كتاب "الإخوان المسلمون كبري الحركات الإسلامية" للدكتور إسحق موسي الحسيني.
8. عن كتاب "الإخوان المسلمون كبري الحركات الإسلامية".
9. "المسلمون" العدد 6 المجلد 8.
10. عن رسالة "دستورنا" للأستاذ الهضيبي.
11. جمال عبد الناصر "لأحمد أبو الفتح"
12. **مصادر البحث:**
13. كتاب "الأسلام والداعية" جمعه وقدم له (اسعد سيد أحمد)
14. مجلة الشهاب البيروتية العدد (13) 6 ذي القعدة /1393.
15. مجلة الشهاب البروتية العدد (14) 21 ذي القعدة /1393.

.